جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

صورة المجتمع الجزائري من خلال الجزء الأول لرحلة الورثيلاني (1713-1779م)المعروفة بـ "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"

مذكرة مكمّلة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر

في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبتان:

فائزه باكر

كلثوم مومن بكوش

الأستاذ المشرف:

محمد الحاكم بن عون

لجنة المناقشة

الأستاذ	الصفة	مؤسسة الانتساب
د. جمال بلفردي	رئيس الجلسة	جامعة الشهيد حمه لخضر
أ. محمد الحاكم بن عون	مشرفاً ومقرراً	جامعة الشهيد حمه لخضر
أ. محمد الشرعي بن معيزة	عضواً مناقشاً	جامعة الشهيد حمه لخضر

السنة الجامعية : 1437-1438هـ / 2016-2017م

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾

العنكبوت الآية20

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا ...

إلى من غرست فيا روح الأمل وحب العمل إلى نبع الحنان وصدر الأمان إلى التي إذا ضاقت الدنيا أجدها سراجا يضئ حياتي وإلى من علمتني الحياء والصبر

"أمي الغالية"

إلى الذي أتشرف بانتسابي إليه و أحمل اسمي مع اسمه ذلك الذي يكابد السهر والتعب لأجلنا ويسعى جاهدا لكسب لقمة العيش "أبي العزيز"

إلى من كان لي يد العون ورفيق دربي "زوجي الغالي"

إلى كل إخوتي وأخواتي الأعزاء وخاصة إلى حبيبة قلبي أختي الصغرى "بسمة "

وإلى أبناء وبنات أخواتي ابتهاج، أماني، براءة، شهد، الشايب، عثمان عبد المنعم، يونس، صهيب ، وإلى ابن أخي المدلل إبراهيم .

وكما أسعد بإهدائي إلى التي أعتز كثيرا بصداقتها وأكن لها كل الحب والاحترام والتقدير صديقة الدرب " كلثوم مومن بكوش "

وإلى أستاذي الفاضل والمشرف على مذكرتي "محمد الحاكم بن عون "

وإلى صديقاتي اللاتي كن لي نعم الصديقات "مسعودة عقيبة" و"حياة غميمة"

وإلى جميع عمال مكتبة دار الثقافة محمد الأمين العمودي

وإلى كل من ساعدنا من قريب أومن بعيد فائزه

الإهداء

الحمد لله على النعم التي لا تحصى ولا تعد حمدا كثيرا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه .وصلى الله على سيدنا وحبيبنا محمد علية أفضل الصلاة وأزكى التسليم،

وعلى آله وصحبه أجمعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الينبوع الذي لا يمل من العطاء، إلى من ربتني وأنارت دربي بالصلوات والدعوات، إلى أغلى إنسانه في هذا الوجود "أمي الغالية "حفظها الله .

إلى من عمل بكد في سبيلي ،إلى الذي لم يبخل علي بشيء من أجلى دفعي إلى طريق النجاح وعلمني أن ارتقي سلم الحياة بحكمة وصبر "أبي العزيز" أدامه الله لي .

إلى إخوتي الأعزاء وعائلاتهم العيد، الجموعي، محمد، بوبكر عيسى .

إلى اللاتي لطالما انتظرن نجاحي أخواتي مبروكة وعائلتها، وآمنة ومروة.

إلى التي عملت بكد معي بغية إتمام هذا العمل إلى صديقتي ورفيقة دربي "فائزة باكر".

إلى من سرنا سويا ونحن نشق الطريق معا نحو النجاح والإبداع إلى من تكاتفنا يدا بيد ونحن نقطف زهرة تعلمنا، صديقاتي.

إلى كل من علمونا حروفا من ذهب، وكلمات من درر وعبارات من أجلى وأسمى عبارات في العلم، إلى من صاغوا لنا علمهم حروف ومن فكرتهم منارة ،تنير لنا سيرة العلم والنجاح أساتذتنا الكرام حفظهم الله وجزاهم الله علينا خير الجزاء.

إلى كل الذين نساهم قلمي وذكرهم قلبي أهدي ثمرة جهدي .

كلثوم

شكر وعرفان

عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:**(مَنْ لمْ يشْكُر النَّاسَ لَمْ يشْكُر الله)** رواه الترمذي .

فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله فنحمده و نشكره على إتمام هذا العمل.

فالشكر موصول إلى من ضحوا من أجلنا بالكثير وعانوا من أجلنا بالكثير إلى من دعمنا لإكمال هذا المشوار الدراسي عائلتينا الكريمتين فلهم منا كل عبارات التقدير والاحترام.

إلى من كان له قدم السبق في ركب العلم والتعلم الأستاذ "المشرف محمد الحاكم بن عون" فله كل عبارات الشكر والتقدير على تبني هذا العمل بالإشراف والرعاية فأحاطه بالنصائح والتوجيهات .

كما نتقدم بأخلص عبارات الامتنان لكل الأساتذة الذين مدوا لنا يد العون نخص بالذكر السايح ربيع ومومن بكوش عيسى ومحمد السعيد عقيب .

ونشكر من مد لنا يد المساعدة منذ بداية هذا العمل إلى نهايته الجباري جاب الله فجزاه الله عنا خير الجزاء .

إلى كل الذين ساعدونا ولو بكلمة طيبة في إنجاز هذا العمل الحبيب عياشي ، فاطمة بلقاسم، مكتبة دار الثقافة محمد الأمين العمودي بالوادي

فائزه وكلثوم

قائمة المختصرات

الرمز	مدلوله
ط	طبعة
ط خ	طبعة خاصة
تر	ترجمة
تع	تعليق
تع	تعريب
(ب.د.ن)	بدون دار نشر
(ب.م)	بدون مكان
(ب.س)	بدون سنة
مر	مراجعة
ص	صفحة
ص ص	مجموعة صفحات
ج	جزء
مج	مجلد
م	ميلادي
هـ	هجري
ق.م	قبل الميلاد
تح	تحقيق
p	Page

مقدمة

مقدمة:

أ-التعريف بالموضوع

تعد الرحلات المتنوعة بتعدد أغراضها من المصادر المهمة التي أرخت لماضي شعوب ومجتمعات العالم قديما وحديثا من خلال وصف المشاهد وتقصي الأخبار، ومن بين الرحلات التي سلطت الضوء على المجتمع الجزائري رحلة الورثيلاني الموسومة ب "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار".

ب-الإشكالية

إن موضوع الدراسة يتمحور حول الإشكال الرئيسي وهو:

- كيف صوّر لنا الورثيلاني المجتمع الجزائري من خلال رحلته ؟ وما هي أهم الجوانب التي تطرق إليها؟ وهل استطاع الورثيلاني أن يعطي لنا صورة حقيقية عن المجتمع الجزائري؟

وللإجابة عن هذا الإشكال الرئيسي قمنا بطرح أسئلة فرعية تمثلت في:

- من هو الحسين الورثيلاني؟

- وفيم تمثل مضمون رحلته؟

- وما هي أبرز مميزات المجتمع الجزائري في تلك الفترة؟

ج- أهمية الموضوع

إن دراسة الرحلة الورثيلانية وتحليل مضمونها، يعتبر موضوع مهم بالنسبة ،لباحثي التاريخ لأنها صورت المجتمع الجزائري خلال القرن الثامن عشر للميلاد، في شتى النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

د-دوافع اختيار الموضوع :

1- الذاتية:

- رغبة منا في دراسة الرحلة وما هي أبرز المواضيع التي تطرق إليها الورثيلاني.

- تسليط الضوء على المجتمع الجزائري في شتى النواحي، حسب رحلة الورثيلاني وكيف كانت وضعيتهم وما الذي يميزهم.

2- الموضوعية:

- دراسة شخصية مهمة وعلما من أعلام الجزائر الحسين الورثيلاني .

- معرفة العلاقة بين السلطة العثمانية بالجزائر ورعيتها.

هـ- حدود الدراسة:

خلال القرن الثامن عشر للميلاد، فانطلقنا من دراستنا للشيخ الحسين الورثيلاني في (1713 م) حتى تدوينه رحلته عام(1779م).

و- خطة الموضوع :

وللإحاطة بهذه الدراسة اتبعنا الخطة التالية:

تتكون من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وملاحق وفهرس البحث، فالفصل الأول خصصناه إلى التعريف بحياة المؤلف الحسين الورثيلاني بداية من مولده ونشأته ثم شيوخه وثقافته، وبعدها تطرقنا إلى عصره واهم رحلاته وأخيرا وفاته وآثاره بالإضافة إلى ملخص للفصل.

أما الفصل الثاني المعنون بدراسة المؤلف وتطرقنا فيه إلى الدراسة الظاهرية للكتاب ثم الدراسة الباطنية وأخيرا ملخص الفصل.

وعالجنا في الفصل الثالث واقع المجتمع الجزائري سياسيا واقتصاديا فتناولنا في المبحث الأول الواقع السياسي والمبحث الثاني الواقع الاقتصادي وختمناه بملخص.

أما بالنسبة للفصل الرابع والأخير فتطرقنا فيه إلى الواقع الاجتماعي والثقافي من خلال نفس الرحلة خصصنا المبحث الأول إلى الواقع الاجتماعي من خلال تركيبة المجتمع وحالته الاجتماعية، وفي المبحث الثاني الواقع الثقافي من خلال المدارس والمساجد والزوايا والعلماء ومن خلال رحلة الحج وختمناه بملخص للفصل.

وفي الأخير ختمنا موضوعنا بخاتمة التي تعتبر حوصلة لأهم النتائج والاستنتاجات المتوصل إليها في هذا الموضوع.

ز-المنهج المتبع :

اعتمدنا في هذه الدراسة على عدة مناهج التي تقتضيها طبيعة الموضوع، والتي تمكننا من الإجابة عن الإشكال المطروح:

المنهج التاريخي الذي ساعدنا في معرفة الأحداث التاريخية والتطورات التي عرفها المجتمع الجزائري في أواخر العهد العثماني، والمنهج الوصفي لوصف حالة المجتمع الجزائري من كل الجوانب، وكما استعنا بالمنهج التحليلي خاصة في إبراز العلاقة بين الحاكم والرعية والمنهج النقدي في نقد وجهة نظر الكاتب من خلال ما ورد في مصادر عايشت تلك الفترة.

ح- المصادر والمراجع المعتمدة :

ولقد استفدنا من العديد من المصادر والمراجع، التي ساعدتنا في إعداد هذه الدراسة من أهمها:

مصدر الدراسة الرحلة الورثيلانية للحسين الورثيلاني التي استعن به في كافة مواضيع البحث لاستخراج الصورة التي وضحها الورثيلاني من خلال تدوينه لهذه الرحلة ،من كل الجوانب واستعنا بالعديد من المصادر والمراجع لنقد المعلومات أو لتحليلها من أهمها :

أبو القاسم محمد الحفناوي المعنون بتعريف السلف برجال الخلف بقسميه الأول والثاني فقد استفدنا منه كثيرا في التعريف بحياة الورثيلاني، وتعريف بعض الشخصيات التي تخص الموضوع ،بالإضافة إلى مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر من1816م-1824م،ومذكرات حمدان بن عثمان خوجة المرآة، ورحلة العالم الألماني ج أوهاسبيرايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1732م، بالإضافة إلى عدد من الدراسات التي أرخت للورثيلاني خاصة مختار بن الطاهر فيلالي الذي عنوة دراسته برحلة الورثيلاني عرض ودراسة فاستفدنا منها كثيرا ،في الفصل الأول أثناء دراسة حياة الورثيلاني والفصل الرابع في معرفة الجانب الثقافي التي تناولتها الرحلة خاصة في ما تمثلت برحلة الحج وأهميتها. والمجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني 1659م -1830م لأرزقي شويتام وكتابات ناصر الدين سعيدوني تاريخ الجزائر في العهد العثماني وولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس وطرابلس، وأبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي1500م-1800م ج2، وإلى جانب هذه المراجع استفدنا بالعديد من الرسائل الجامعية والمجلات ،ومن أهم الرسائل ثقافة بلاد المغرب من خلال رحلة الورثيلاني وابن حمادوش لمايسة حراش التي ساعدتنا كثيرا في الفصل الأول.

ط-الصعوبات :

واجهتنا العديد من الصعوبات أهمها :

- صعوبة تصنيف المعلومات التي تناولتها الرحلة حسب الخطة الممنهجة نظرا لتداخلها وارتباطها الكبير ببعضها البعض، خاصة أن المؤلّف كتب رحلته وفق الخطة القديمة وهي سرد الأحداث أي عدم تقسيمها إلى فصول وأبواب.

- صعوبة دراسة كل ما ورد في الرحلة ،وهذا ما حتّم علينا دراسة الجزء الأول منه.

- صعوبة فهم بعض المفردات الغامضة والغير الواضحة.

- ومن الصعوبات التي واجهتنا أيضا صعوبة هيكلة الكتاب حسب خطة الدراسة والبحث.

الفصل الأول

حياة الحسين الورثيلاني

المبحث الأول: مولده ونشأته

المطلب الأول: مولده

المطلب الثاني: نشأته

المبحث الثاني: شيوخه وثقافته

المطلب الأول: شيوخه

المطلب الثاني: ثقافته

المبحث الثالث: عصره ورحلاته

المطلب الأول: عصره

المطلب الثاني: رحلاته

المبحث الرابع: وفاته وآثاره

المطلب الأول: وفاته

المطلب الثاني: آثاره

الفصل الأول: حياة الحسين الورثيلاني

رغم ما تكتسبه شخصية الحسين الورثيلاني من أهمية تاريخية بالغة، إلا أنه لم يحض بدراسات كثيرة تتطرق إلى تفاصيل دقيقة عن جميع أطوار حياته، وحتى في رحلته، لم يتطرق لحياته بالتفصيل.

المبحث الأول: مولده ونشأته

المطلب الأول: مولده

هو الحسين بن محمد بن السعيد بن الحسين، بن محمد بن عبد القادر بن أحمد الشريف، نجل الولي سيدي علي البكاي البجائي ([1])، ويبدو من خلال ما أورده المؤلف في رحلته عن شجرة نسبه أنه اختلط عليه الأمر، ولم يضبط نسبه كاملا حيث ذكر أن جده أحمد الشريف له ولد، ومكث في مجانة عشرين سنة، بينما عندما ذكر اسمه الكامل لم يذكر هذا الجد من شجرة نسبه، ولد الورثيلاني سنة 1125هـ /1713م ببني ورثيلان * قرب حاضرة بجاية.

وتنتمي أسرته إلى شرفاء تفيلالت، إحدى قبائل المغرب الأقصى وقد هاجر الجد الأكبر لهذه الأسرة من تفيلالت، واستقر في بجايه آنذاك نظرا لازدهارها بالعلم والعلماء، والمفكرين حيث كانت تمثل مركز إشعاعي حضاري، إبان العصور الوسطي ([2])، ولم يوضح الورثيلاني أو الدارسين عليه متى هاجرت، هذه الأسرة واستقرت في بجاية ([3]).

([1]) عبد المنعم القاسمي الحسيني: أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الجليل القاسمي، ط1، (ب، س)، الجزائر، ص 144.

* بني ورثيلان: بلدية تقع على بعد 90كلم شمالا من مقر ولاية سطيف مقر دائرة إلى 1984م، للمزيد ينظر إلى عاشور شرقي، معلمة الجزائر قاموس الموسوعي، مر مصطفى ماضى، دار القصبة، (ب.س)، (ب. م)، ص 332.

([2]) مختار بن الطاهر فيلالي: رحلة الورثيلاني عرض ودراسة، دار الشهاب، (ب، س)، الجزائر، ص13.

([3]) عمار هلال :العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع عشر والعشرون الميلاديين (3-14هـ)،ديوان المطبوعات الجامعية ،ط2،2010م،(ب.م)،ص220.

المطلب الثاني: نشأته

لقد نشأ الحسين الورثيلاني نشأة فقيرة أساسها التقشف الصوفي، وفي المدرسة القرآنية التي كان يديرها والده، حفظ الورثيلاني القرآن الكريم وهو في سن مبكرة، وبعد ذلك بدأ يطلب العلم في مختلف الزوايا، وتعلم الفقه والنحو، وعلم التصوف والتوحيد، وتعلم أيضا اللغة والأدب والعروض وعلم التاريخ وبهذا أصبح الورثيلاني كجده ووالده، من علماء المنطقة البارزين، وأصبح فيما بعد من المدرسين وشيخ زاوية الأسرة([1]).

ومما سبق ذكره نستخلص: أن الورثيلاني ينتسب إلى شرفاء تافلالت بالمغرب الأقصى، وكان مولده سنة 1125هـ -1713م، وبدأ الورثيلاني يتلقى تعليمه الأول في بلدته على يد علماء وشيوخ بلدته، ثم ارتحل إلى المراكز العلمية ليزيد من علمه، وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث الثاني.

([1]) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500م-1830م)، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998م، بيروت، ص 393.

المبحث الثاني: ثقافته وشيوخه

المطلب الأول :شيوخه

تلقى الورثيلاني العلم في الزاوية التي كان يشرف عليها والده، والتي حفظ القرآن الكريم بها، على يد معلمه الشيخ يوسف بن بشران ([1])،ولقد درس الفقه على يد والده من كتاب الشيخ الخليل، وتلقى دروس الألفية على يد علي بن أحمد بن عبد الله، وهو كذالك من علماء بلدته كما أخذ عن الشيخ يحي اليعلاوي تلميذ جده الحسين، وعن الشيخ أحمد زروق بن أحمد بن الشيخ العنابي، ونال حظه من العلم والمعرفة.

وكان الورثيلاني شغوفا بالعلم وكان طموحا في الاستزادة من المعارف، بحيث لم يكتفي بما تحصل عليه في وطنه، مما دفعه ذلك من الترحاب، صوب المراكز العلمية الشهيرة، فذهب إلى طلب العلم ولأداء فريضة الحج وتحقق له ما تمناه، إذ يذكر الورثيلاني في رحلته على أنه تتلمذ على يد محمد بن عبد العزيز، وعبد الله السوسي ويحي بن حمزه، فهذا بالنسبة إلى تونس([2]).

وسافر إلى مصر فدرس عن كثير من علماءها، ومنهم الشيخ محمد الحفناوي وقد أورد أنه درس عليه الرحبية في علوم الفرائض([3])، والشيخ البليدي الذي درس عليه كتاب الرسالة ([4])، والشيخ العروسي والشيخ الخليل المغربي الأزهري ولقد درس عليهما كتاب القطب على الشمسية، ومن مشايخه أيضا علي الصعيدي الذي أفاد منه مختصر الخليل بشرح الشيخ

([1]) الحسين الورثيلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2008 م، القاهرة، ص 7.

([2]) مختار بن الطاهر فيلالي: المرجع السابق، ص14.

([3]) رقية شارف: الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18م وبداية القرن 19م، دار الملكية، ط1، 2007م، الجزائر، ص 65.

([4]) عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، 1980م، لبنان، ص340.

الخرشي في الفقه، والشيخ علي الفيومي ملقن أذكار الشيخ البدوي والشيخ عبد الوهاب العفيفي مسئول المريدين على الطريقة الشاذلية *، ولقد أخذ عنه الأفكار وغيرها، والشيخ أبو القاسم الربيعي القسنطيني الذي أخذ عليه القراءات السبعة إفرادا([1])، ولقد أخذ الورثيلاني أيضا عن أبا الحسن شيخ رواق المغاربة والشيخ عمر الطحلاوي، الذي أخذ عنه تفسير الجلالين والرسالة، والشيخ الزياتي الشافعي وسالم النفزاوي وسالم الإشبيلي الذي أخذ عنهم مختصر السعد في البيان قراءة وتحقيق والشيخ الصباغ الإسكندري والهاشمي المغربي وإبراهيم بن علي شعيب التونسي ([2]).

المطلب الثاني: ثقافته

لقد تعلم الورثيلاني تعليمه الأول في الزاوية وهذا ماجعله يتعلق بالأولياء، ويؤمن بالكرامات ويعتقدها أشد الاعتقاد، بالإضافة إلى أنه كان حكيما حيث أنه كان يتدخل وباستمرار لحسم الخلافات التي تقع بين أساتذته ومشايخه، وكان يبين لهم من هو الصائب ومن([3])،هو المخطئ، مثلما وقع بين شيخه التلمساني والخليل المغربي حول مسائل في كبرى السنوسي.

مما يؤكد أن الورثيلاني كان شغوفا بالعلم وورعا به حيث أنه وفي كثير من الأحيان يفحم أساتذته بالأسئلة في البلاغة، والنحو والكيمياء، وعلم الكلام والفقه، فالورثيلاني كان محبا للبحث والمناقشة والجدال.

---

* الطريقة الشاذلية: تنتسب الطريقة الشاذلية إلى أبو الحسن الشاذلي عبد السلام بن مشيش عن أبي مدين الغوث، وهي طريقة صوفية ظهرت في المغرب الأقصى في أواخر القرن 18م، وانتشرت في الجزائر، وبها أربعة فروع في الجزائر وتقوم مبادئها على الرحلة الفكرية والتأمل المستمر في وجدانية الله وعلى الهيئات، وتهتم بالعلم الروحي .للمزيد ينظر إلى أحمد مريوش الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، ط خ، 2007م، الجزائر، ص107.

([1]) أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، القسم 2، مؤسسة الرسالة، ط2، 1985م، تونس، ص141.

([2]) نفسه:ص141.

([3]) مايسة حراش: ثقافة بلاد المغرب العربي من خلال رحلة كل من الورثيلاني وابن حمادوش، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، (ب، س)، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، ص 46.

وكان الورثيلاني عالما من علماء عصره في القرن الثامن عشر للميلاد، وما يثبت ذلك أنه اهتم بمختلف العلوم والفنون، بحيث أن هذه العلوم تعتبر شاملة بالنسبة إلى علوم عصره، ولعل ما دفعه إلى محاولة إتقان كل هذه العلوم هو طموحه للعلم، بالإضافة إلى ما أورده عن جده الحسين الذي كان مدرسا في الأزهر، وبالإضافة إلى أن أهل بلده لا يهتمون بكل العلوم ويفضلون جانب عن جانب آخر ([1]).

إن البيئة التي نشأ فيها الورثيلاني هيأته إلى أن يكون محبا للعلم شغوفا به، وحريصا علي توسيع معارفه، وتنمية معلوماته وثقافته، سواء كان في قريته ببني ورثيلان أو من خلال تنقله بين مدن الجزائر، أو حتى خلال رحلاته نحو البقاع المقدسة، وإن تلهفه إلى مزيد من العلم والمعرفة، جعله يتوجه نحو مراكز علمية أخرى خارج الجزائر مثل طرابلس وتونس ومصر والحجاز وهذا ما جعله عالما بارزا من علماء عصره.

([1]) مختار بن الطاهر فيلالي: المرجع السابق، ص ص 21-22.

المبحث الثالث: عصره ورحلاته

المطلب الأول: عصره

لقد عاش الورثيلاني أواخر العهد العثماني، ومثلت هذه الفترة انفصال الدولة الجزائرية عن الحكومة المركزية في إسطنبول، واستقلالية الحكم الجزائري، بحيث أن الداي علي شاوش في سنة 1711م، أرغم الباشا الجديد على الانسحاب، وبعد ذلك أقنع الباب العالي على تعيينه هو الباشا إلى جانب منصب الداي، وبذلك أدمج منصب الباشوية مع منصب الداي، ولم يعد للسلطان أي نفوذ على الجزائر سوى الدعاية له فوق المنابر، أي تبعية اسمية فقط([1]).

إن السياسة التي أنتهجها معظم الدايات أرهقت السكان بالإتاوات والضرائب، مما دفع السكان إلى التمرد والعصيان مثل تمرد سكان فليسه بالقبائل الكبرى1767م الذي دام ما يقارب سبع سنوات، وتمرد سكان بليدة والحضنة وبعض واحات الجنوب ([2]).

ويتراوح عدد سكان الجزائر في أواخر العهد العثماني، خمسين ألف نسمة، ويعيش غالبية سكان الجزائر في الأرياف، بينما يعيش أقلية ضئيلة في المدن([3])، وقد اتسمت الأوضاع الاجتماعية في الجزائر، بالفوضى والاضطرابات وتوترات الإنكشارية، وما زاد من سوء الأوضاع الداخلية حدوث زلازل مخربة بها سنوات 1716م، 1717م، 1755م،وحصول أوبئة سنوات 1752م،1753م،بالإضافة إلى القحط والجفاف الذي حل بها، مما أدى إلى انتشار البؤس والفقر، وقلة المؤن والمحاصيل الزراعية، ونتج على ذلك كله، انتشار الغضب والتذمر على المستوى الشعبي([4]).

([1]) يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية،2007م،الجزائر، ص ص47، 48.

([2]) صالح بن نبيلي فركوس: تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال (814ق.م-1962م)، ج1، دار أيدكوم،2013م، الجزائر، ص343.

([3]) ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، ط2، 2006م، الجزائر، ص22.

([4]) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص50.

لقد عرفت الحياة الاقتصادية من الناحية الزراعية، والحيوانية نشاطا زراعيا ملحوظا في أواخر العهد العثماني، حيث كانت تصدر الحبوب والجلود إلى الخارج لوفرتها([1])،ولقد نوَّه الورثيلاني في رحلته، إلى أن الإنتاج الزراعي يتميز بوفرته، وتنوعه كالزيتون والعنب والتين والفواكه والتمور.

أما الصناعة في الجزائر، فإنها كانت صناعة تقليدية، كصناعة النسيج، والبرانس، والزرابي، والحياك([2]).

لقد اجمع معظم العلماء على أن الحياة الثقافية في الجزائر، أواخر العهد العثماني تميزت بالركود والعقم، على غرار الدول التي كانت تحت لواء الدولة العثمانية، لأن سياسة الأتراك أهملت التعليم، واهتموا بالأمور العسكرية، مما ساعدت على نشر التصوف الخرافي والانحطاط الثقافي، وبالرغم من أن العلماء وصفوا هذه الفترة بالجمود والتحجر والخمول إلا أننا لا ننكر وجود([3])، بعض الحكام كانوا يهتمون بالتعليم، وشيدوا المدارس بأموالهم الخاصة ويعينون عليها مدرسيين مثل باي معسكر الذي أنشأ مدرسة المحمدية وباي قسنطينة الذي انشأ مسجد سيدي الكتاني، وألحق به مدرسة تم بناؤها سنة 1773م ([4]).

ورغم الانحطاط الذي كانت علية الجزائر، إلا أنه يوجد مراكز علمية حافظت على التراث الفكري والثقافي ونبغ فيها علماء وشعراء مثقفين كبجاية وتلمسان، وقسنطينة، والجزائر ومن هؤلاء العلماء أبو راس الناصري*، وسعيد قدورة والإمام احمد بن قاسم البوني([5]).

([1]) صالح بن نبيلي فركوس: المرجع السابق، ص349.

([2]) الحسين الوثيلاني: المصدر السابق، ص136، 150.

([3]) صالح بن نبيلي فركوس: المرجع السابق، ص385.

([4]) ارزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني 1519م- 1830م، دار الكتاب العربي، ط1، 2009 م، الجزائر، ص488.

* أبو راس الناصري: ولد سنة1773م قرب معسكر، ولقد نشأ يتيما وحفظ القرءان حتى أصبح يلقب بالحافظ، تقلد مناصب كالتدريس والفتوى والقضاء والخطابة وله عدة مؤلفات من أهمها "ذيل روض القرطاس" وافته المنية سنة 1823م، للمزيد ينظر محمد عوادي: أبو راس الناصري إنتاجه الفكري وجهاده ضد الإسبان 1737م-1823م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، 2016م، جامعة الشهيد حمة لخضر، ص ص10، 28، 32.

([5]) صالح بن نبيلي فركوس: المرجع السابق، ص ص409، 415.

إن الوضع العام التي آلت إليه الجزائر أواخر العهد العثماني، خاصة من الجانب الثقافي الذي تدهور كثيرا، أدى بالعلماء إلى التنقل بحثا عن العلم والمعرفة، خاصة العلماء الذين كانوا شغوفين بالعلم، والاستزادة منه.

المطلب الثاني :رحلاته

إن تلهف الورثيلاني بالعلم ورغبته في التعمق والاستزادة بالعلم والمعرفة، جعله يقوم بالعديد من الرحلات الداخلية والخارجية، إضافة إلى أنه شخص محب للرحلات والاستطلاع حيث تعود على هذه الرحلات، التي كان يقوم بها منذ صغره.

كانت اغلب زياراته مرابطية، حيث كان يطمح في زيارته للعلماء، لتلقى العلم منهم والاستفادة منهم قدر المستطاع، أما زيارته للأضرحة والأولياء، والأموات، فكانت الغاية منها التبرك بهم واخذ بركاتهم.

أما الهدف الأساسي من هذه الرحلات فوضحه في رحلته فيقول: "ونحن على ذلك من الناوين لأنواع الخير من حج، وجهاد، وزيارة وعلم، وإفادة واستفادة، وأنواع الخيرات على اختلاف أصنافها، وتنوع أجناسها فإن عشنا فعلينا وإن كفتنا تلك النية..."([1])،فهنا وضح الورثيلاني أن الغاية من رحلاته هو السعي للخير، أي كان نوعه وذلك بالدعوة إلى المحافظة عن الدين الإسلامي، وإتباع تعاليمه، والنهي عن المنكر، خاصة أثناء رحلة الحج، وإرشاده للركب على قواعد الحج واحترام الأخر، والحج هو غاية ووسيلة في نفس الوقت، حيث الغاية هو تحقيق سنة النبي صلى الله عليه وسلم، أما الوسيلة فهو الاحتكاك بالعلماء والأخذ منهم العلم والمعرفة، واهتمامه باقتناء الكتب أو الشراء، أما الجهاد الذي يقصده الورثيلاني هو العلم لان طلب العلم جهاد وليس الجهاد في سبيل الله ضد المفسدين أو غير ذلك، والزيارة زيارة الأضرحة والأولياء والأموات للتبرك وأخذ العلم والولاية منهم.

([1]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص614.

زار الورثيلاني أغلب المناطق الجزائرية من مدن وقرى بالإضافة إلى زيارته إلى تونس وطرابلس ومصر والحجاز([1]).

أ-رحلاته الداخلية:

وقبل توجه الورثيلاني، للمرة الثالثة إلى الحجاز عام (1179هـ/1765م)، قام بعدة جولات داخلية حيث توجه إلى الجنوب القسنطيني فزار واحة سيدي خالد مارا بطولقة، وأولاد جلاب وأشار إلى أن هذه الزيارة إلى الجنوب ليست الأولى وإنما زارها عدة مرات، وزار من خلال هذه الجولة ضريح الشيخ عبد الرحمن الأخضري بطولقه ([2])، واجتمع بعلمائها وعند عودته مر على مدينة لمسيلة بحيث زار ضريح أبي جملين هناك، ولقد زار أيضا تلمسان ووقف على أضرحة الأولياء كالشيخ أبي مدين والسنوسي وغيرهما ([3])، ولم يحدد الفترة التي قام فيها بهذه الجولة.

وعند عودته من الجنوب قام بزيارة إلى القبائل، بحيث اتجه إلى زواوة وتدلس وزار خلالها عدد من الفقهاء والأولياء، بحيث يورد أن الهدف من زيارته هذه هو زيارته للعلماء والأولياء من جهة، والإصلاح بين القبائل المتحاربة من جهة أخرى، بحيث أن العلماء والمرابطين كان لهم دور كبيرا في توجيه السكان، وبعد عودته إلى بلدته قرر أن يقوم بجولة أخرى، نحوى بجاية وعندما وصلها وقف على معظم العلماء والأولياء المشهورين في تلك المنطقة، وتجول في أسواقها وأطرافها واجتمع خلالها بتلاميذه ومريديه، ومنهم قاضي المدينة الشيخ أبو القاسم بن إبراهيم ومن هناك عاد إلى قريته ([4]).

([1]) مجموعة من الأساتذة، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج2، إشراف رابح خدوسيى، منشورات الحضارة، ط1، 2014م، (ب، م)، ص696.

([2]) مختار بن الطاهر فيلالي، المرجع السابق، ص 38.

([3]) محمد أرزقي: إضاءات في تاريخ الجزائر معالم وأعلام، دار الأمة، 2014م، الجزائر، ص46.

([4]) مختار بن الطاهر فيلالي، المرجع السابق، ص 39.

لقد زار الورثيلاني منطقة زمورة* التي وصفها بقوله: "وزمورة كثيرة المياه وأرضها ذات زرع وذرع بلا اشتباه، طماع جيد وسوقها عامرة ومفيدة..."ووصف أهلها بالظلمة وكثرة الفتن بالإضافة إلى الجهل الذي هو موجود فيها وبكثرة، وقلة العلم.

وزار بسكرة فيقول عنها "مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار وهي مدينة مسورة..."، فالكاتب يصف بسكرة وكأنها جنة في الحياة، ويوجد فيها العلم الكثيرة وأهلها على مذهب أهل المدينة، وفي بسكرة عدة أبواب باب المقبرة وباب الحمام...إلخ، وبسبب الفتن الموجودة فيها بكثرة، وزيادة على ذلك دخول العثمانيين إلى هذه المدينة دمروها تقريبا وبكاملها([1]).

ب-رحلاته الخارجية:

قام الورثيلاني بعدة رحلات إلى الخارج، حيث توجه إلى تونس والغرض من زيارته هو التعلم، ثم الاتجاه من هناك إلى المشرق لأداء فريضة الحج، ولكن لما لم يتيسر له ذلك عاد إلى بلدته وكان برفقته في هذه الرحلة الشيخ الفقيه زروق بن الحاج صديق والده وذكر أنه مسن وفقيه كبير.

وزار الورثيلاني أيضا مدينة طرابلس بحيث يذكر أنه وجد فيها ترحابا كبيرا، واجتمع بالعديد من العلماء وكان يصف أهل طرابلس بحسنهم له كسوة وطعاما، وكان يقصد بعض العلماء الذين صادفهم أمثال الشيخ المفتي سيدي محمد بن مقين وأصحابه ([2]).

واعتمد الورثيلاني في رحلاته على العديد من المصادر التاريخية منها كتب الشيخ محمد بن علي شارح الشقراطسية والعياشي والبكري.

---

* زمورة: بلدية تقع بعد 34كلم شمال عاصمة الولاية برج بوعريريج على ارتفاع 1100م، تضم15000نسمة بها قلعة حسان خير الدين، للمزيد ينظر عاشور شرقي: المرجع السابق، ص784.

([1]) الحسين الورثيلاني، المصدر السابق، ص 166.

([2]) نفسه: ص 214.

ولقد واصل الورثيلاني رحلته تجاه الأماكن بحيث اتجه إلى مصر ولما وصلها دخلها من جهة الشمال الغربي، بحيث يذكر أن في مصر يجد المرء أي شيء، وأزيد من ذلك بكثير وينتسب ذلك إلى كثرة الناس، فيها وأن مصر: هي أم البلاد شرقا وغربا وكما زار الورثيلاني العديد من علمائها.

ولقد زار أيضا مكة والمدينة المنورة حيث انه قام بثلاث رحلات لها، الأولى صحبة والده وهو ابن18سنة(1153هـ=1740م)، والثانية عندما، بلغ الواحدة والأربعين سنة (1166هـ=1752م)، والثالثة(1179هـ=1765م) واستغرقت هذه الرحلة ثلاث سنوات، وحرص فيها الحسين الورثيلاني إلى مقابلة علماء عصره ([1])، حيث يسرد عند وصوله إلى مكة، يصل زحم الرحلة إلى أقصاه ويزول كل التعب والمشقة حيث يصف الورثيلاني هذه اللحظة فيقول: "....ودخلنا مكة...وكأن النفوس في وليمة عظيمة لا يعلمها وما فيها من الفرح إلا الله...."، ثم يواصل الورثيلاني حديثه عن مناسك الحج، ومن هنا يتضح أن له علم واسعا بها بحيث كان يروي كل ما فيها بالتفصيل، كمقبرة البقاع والمساجد وما رواه أهل العلم والفقهاء في ذلك([2]).

إن البيئة التي نشأ فيها الورثيلاني، جعلته يكون ورعا بالعلم والمعرفة، خاصة أن والده وجده كانا من المدرسين في الزاوية، ولم يكتفي الورثيلاني بما درسه في قريته بني ورثيلان وإنما تنقل بين مدن الجزائر بجاية وزمورة وغيرها من المدن، وبين تونس وطرابلس ومصر والحجاز حيث استفاد من علماء تلك المناطق، وأفاد وذلك بعقد الحلقات الدراسية، وبفضل حنكته وشغفه بالعلم ترك العديد من المؤلفات ودرس العديد من التلاميذ.

([1]) عبد المنعم القاسمي الحسيني، المرجع السابق، ص143.

([2]) عبد الرحمن عزي، التواصل القيمي في الرحلة الورثيلانية بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تأليف سيدي الحسن بن محمد الورثيلاني، دراسة تم إعدادها لمؤتمر جامعة فيلادلفيا، الأردن "حول ثقافة التواصل"، مؤسسة كنوز الحكمة، 2011، الجزائر، ص ص 47، 49.

المبحث الرابع: وفاته وآثاره

المطلب الأول: وفاته

بعد عودته من الحج في عام 1181هـ -1767م، عكف عن العبادة وانقطع عن التدريس والوعظ والإرشاد بمسجد عائلته ببني ورثيلان إلى أن وافته المنية ([1])، وعلى حد قول بعض تلاميذه أنه توفي في سنة 1193هـ أو1194هـ أي 1779م أو1780م([2])، بمسقط رأسه آنو *رحمة الله عليه، ولا يزال قبره قائما، يزوره الناس باستمرار ويتبركون به([3]).

المطلب الثاني: آثاره

تصدى الورثيلاني كأبيه وجده للتدريس في بلدته بني ورثيلان، حيث درس الفقه والتوحيد لطلبته ومنهم الشيخ محمد بن الفقيه محقق في علم الكلام، ومحمد السكلاوي الجزائري الذي درس عنه كبري الشيخ السنوسي بالشيخ اليوسي، ومن الذين درسوا عنده يحي بن حمزة، ومحمد بن عبد من زمورة ومحمد الجوادي، ومحمد بن خروف، والشيخ محمد الصالح، وكان هؤلاء الطلبة ملازمين له حيث سافروا معظمهم إلى مصروتونس.

أما بجاية فيذهب إليها في رمضان من كل سنة قصد التدريس والوعظ والإرشاد، أما تونس زارها عدة مرات، وأقام بها متعلما ومعلما، وقد اخذ عنه الكثير من الطلبة من كتاب "المعالم " لإمام الفخر الرازي و"الفتوحات" لابن العربي و"عقيدة ابن الحاجب " وكان يعقد حلقات البحث مع المشايخ والطلبة في كل من صفاقس وقابس في مختلف العلوم([4]).

([1]) بورايو عبد الحفيظ، مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، دار مداد يونيفاريستي براس، ط2، 2013م، الجزائر، ص158.

([2]) الحسين الورثيلاني، المصدر السابق، ص6.

* تنتمي جغرافيا إلى منطقة القبائل الصغرى أما إداريا فتتبع حاليا ولاية سطيف.

([3]) أبو القاسم سعد الله، تاريخ، المرجع السابق، ص395.

([4]) مختار بن الطاهر فيلالي: المرجع السابق، ص ص23-24.

وتميز الورثيلاني بالجد والنشاط الذي لا يتسرب إليه الكسل، ودليل ذلك هو انتقاله باستمرار بين الأمصار يدرس ويبحث ويؤلف ويعلق على مؤلفات وشروح سابقيه في الفقه والتوحيد والتصوف والنحو والبلاغة، ولقد ترك الورثيلاني، عدة مؤلفات من أغراض وشروحات وتعليقات ولكن للأسف أكثرها ضاعت منه، ونذكر بعض مؤلفاته منها:

- شرح على المنظومة القدسية للشيخ عبد الرحمان الأخضري في التصوف وتعتبر من أهم أعماله في التصوف([1])،وهي عبارة عن قصيدة في آداب السلوك وتهذيب السلوك وتهذيب النفس، ورفض المحدثات والبدع وسمي شرحه "الكواكب العرفانية والشوارق الإنسية في شرح ألفاظ القدسية " واعتمد في شرحه هذا على القشيرية([2]).
- شرح على الصغري للشيخ السنوسي التلمساني.
- حاشية على حاشية المحقق الكتاتي التي وضعها على شرح السنوسي.
- شرح على وضيفة الشيخ يحيى العبدلي، وبعض كراماته وكراس في وصف برقة بمنازلها ومراحلها ومياهها، وقد ضاعت منه قرب الزعفران في يوم عاصف.
- شرح كتاب الصلاة وقد أوصاه مؤلفه الشيخ السمان القرشي بشرحه([3]).
- شرح على وسطي السنوسي في التوحيد.
- شرح على محصل المقاصد لأحمد بن زكريا التلمساني.
- حاشي على صغير الخرشي على هوامش الشرح.
- رسالة في شرح قول "وقفت بساحل ووقفت الأنبياء دونه "لأحد الأولياء وذلك ردا على أسئلة طلبة وعلماء دلس، ورسالة أخرى في التصوف للشيخ أحمد بن يوسف الملياني بعث بها إلى سلطان فاس آنذاك، وعجز علماء فاس عن الرد عليه.

([1]) يوسف إلياس سيركين، معجم المطبوعات العربية والمعربة، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، 1999م، القاهرة، ص388.

([2]) عبد القادر صحراوي: الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520م-1830م، دار هومه، الجزائر، 2016م، ص243.

([3]) خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم، ج2، دار العلم للملايين، ط15، 2002م، لبنان، ص258.

- قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم في خمس مئة بيتا([1]).
- رسالة أخرى على حد قول بعض العلماء "نسجت برنسا من ماء وغطيت به من الأرض إلى السماء.

وأهم مؤلفاته الرحلة الورثيلانية الموسومة ب"نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"([2]) التي انتهى من إملائها عام 1182هـ 1768م حيث وضع لها عنوانا استوحاه من مضمونها، وضمنها مشاهداته وملاحظاته وتعليقاته أثناء رحلته لأداء فريضة الحج ([3])، ونحن الآن بصدد دراستنا للجزء الأول من الرحلة الورثيلانية، والتي كان زمن انطلاقة هذه الرحلة حوالي 1178هـ 1764م، كما ورد في نص الرحلة ولا يذكر الورثيلاني نقطة الانطلاقة([4]).

([1]) ليلي غويتي: التواصل الثقافي للرحالة الجزائريين مع العلماء المغاربة في العصر الحديث، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 14، 2012م، (ب. م)، ص214.

([2]) عبد الرحمن دويب: الأعمال الكاملة للشيخ البوعبدلي، دار المعرفة الدولية، ط خ، 2013م، الجزائر، ص51.

([3]) ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة جغرافين، دار البصائر، (ب، س)، الجزائر، ص452.

([4]) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، مؤسسة الرسالة، (ب، س)، (ب، م)، ص638.

خلاصة الفصل

لقد كان مولد الورثيلاني 1225هـ-1713م ببني ورثيلان، وكان شغوفا بالعلم والمعرفة متأثرا بالبيئة التي نشأ فيها على غرار والده وجده اللذين كانا من شيوخ الزاوية.

تعتبر فترة مولد الورثيلاني بداية الحكم الذاتي للجزائر، عندما رفض الداي علي شاوش الباشا المبعوث من السلطان العثماني، إن الوضع العام التي كانت تعيشه الجزائر من تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، أثر على الورثيلاني الذي كان ورعا ومحبا لاستزادة في العلم ما جعله يقوم بالعديد من الرحلات داخل الجزائر وخارجها، هذه الزيارات سمحت له بالتأثر والتأثير، أي أنه يلقي الدروس ويعطي الإجازات في أي مكان حل فيه، ويأخذ هو الإجازات أيضا.

يعتبر الورثيلاني عالما ورعا من علماء القرن الثامن عشر للميلاد، حيث أنه تتلمذ على يديه الكثير، وترك العديد من المؤلفات القيمة، خاصة الرحلة الورثيلانية التي نحن بصدد دراستها بالتفصيل في الفصل الثاني.

الفصل الثاني

دراسة المؤلَّف

المبحث الأول: الدراسة الظاهرية

المطلب الأول: دراسة المخطوط

المطلب الثاني: دراسة محتوى المخطوط ظاهريا

المبحث الثاني: الدراسة الباطنية

المطلب الأول: النقد الإيجابي

المطلب الثاني: النقد السلبي

الفصل الثاني: دراسة المؤلَّف

المبحث الأول: الدراسة الظاهرية

المطلب الأول: دراسة المخطوط

تعتبر رحلة الورثيلاني من أهم المصادر التي تناولت تاريخ الجزائر في القرن الثامن عشر للميلاد، حيث صورت المجتمع الجزائري في هذه الفترة.

لقد اختار الورثيلاني عنوان لرحلته وهو "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" وهو عنوانا طريف يناسب مضمونها، خاصة انه سجل فيها أسفاره في الداخل والخارج وكل ما شاهده، وضمنها بالخصوص أخبار رحلته للحج.

ولقد ابتدأ الورثيلاني كتابة رحلته في قرية بني ورثيلان قرب حاضرة بجايةِ، وفي عام 1766م أو1765م، عندما أتى من الحج فهو لم يكتبها بل أملاها إملاء على تلاميذه، كما جرت عادت المشايخ في ذلك الوقت، أما البدء في كتابة الرحلة في صورتها النهائية، فكان حوالي سنة 1767م في مسجد أبي لبابه بتونس حيث يشير إلى ذلك قائلا: "وقد زبرت شيئا من هذه الرحلة في مقامه (مقام أبي لبابه) اغتناما لبركته، فكنت أملي على بعض فضلاء جربة وعلمائها وهو يكتب "، ومما يؤكد أنه لم يكتب الرحلة دفعة واحدة، هو ذلك التكرار الذي ورد في الرحلة حول موضوع واحد.

أ- النسخ المعتمدة

1- نسخة مخطوطة بخط مغربي مختلفة مقابلة على نسخة منقولة من مسودة المؤلف مجموع صفحاتها 642 صفحة.

2- نسخة مخطوطة بخط مغربي غالبها جميل مقابلة كالتي قبلها، على مسودة المؤلَّف مجموع أوراقها 353.

3- نسخة مخطوطة بخط مغربي غالبها غير جيدة، مجموع صفحاتها 640 صفحة.

4- نسخة مطبوعة على الحجر في حاضرة تونس سنة1321ه بتصحيح الشيخ علي الشنوفي، وهذه النسخة مشتملة على ثلاثة أجزاء في الجزء الأول 250صفحة والجزء الثاني 214 صفحة، والجزء الثالث 260 صفحة حيث أشار ابن أبي شنب قائلا "غير أننا لا يمكننا أن نعتبرها نسخة مخطوطة بخط مغربي يكاد لا يقرأ في بعض المواضيع لانطماس الحروف ولم ينتبه للبياض الموجود في الأصل"([1]).

ب- النسخة المعتمدة

لم يعتمد المحقق على نسخة معينة وإنما اعتمد على العديد من النسخ، وقد وجدنا مخطوطا كاتبه شني المولود وناسخه عبد العجيم بن عبد الوهاب الزيد عبد الله.

1- بداية المخطوط

وقد ابتدأ صاحب الرحلة بإملاء رحلته على تلاميذه بالبسملة والصلاة على أحسن الخلق وخاتم النبيين، ثم بعد ذلك بدأ في الدخول إلى الموضوع حيث عرف بنفسه في الصفحات الأولى، من المخطوط، وانه كان يشتغل منصب مدرس وفقيه([2]).

([1]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص ص 3،4.

([2]) ينظر إلى الملحق رقم 1،ص89.

2- نهاية المخطوط:

أما بالنسبة إلى خاتمة المخطوط، فقد أنهى الورثيلاني كلامه بشعر في فضل صيام التطوع، وفي الأخير يشير الورثيلاني على انه أنهى كتابة الرحلة التي كانت من تأليفه سيدي الحسن بن الورثيلاني وبالدعوة للمؤمنين والاستحماد والشكر([1]).

3- نوع الخط: نوع خط المخطوط خط مغربي.

4- ورقات المخطوط: ويوجد في المخطوط 498 ورقة، وهي ورقات مزدوجة من القطع الكبيرة.

5- مسطرة المخطوط: يوجد في ورقة المخطوط، حوالي30 أو 31 سطرا وفي السطر، حوالي 10كلمات، فالكلمات كتابتها رقيقة وضيقة.

6- لون المداد: كان الورثيلاني يكتب باللون الأسود، وبعض الأحيان يكتب باللون الأحمر هذا بالنسبة إلى الأعلام، والمناطق، والأماكن التي زارها، ويكتب صلى الله عليه وسلم بخط أحمر كذلك.

7- المصادر المعتمدة في المخطوط

لقد اعتمد الورثيلاني في كتابة رحلته على العديد من المصادر، حيث يبدو أنه اطلع على الرحلات وكتب التاريخ والفقه، واللغة والتصوف، وقد ذكر في رحلته أنه اقتبس من رحلات سابقيه، ومن أهم هذه المصادر نذكر:

([1]) ينظر إلى الملحق رقم 2،ص90.

– رحلة الشيخ أحمد بن محمد ناصر الدرعي الجعفري والمشهورة بالرحلة الناصرية، ورحلة التجاني لأبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد، والرحلة العياشية لأبو سالم عبد الله ابن محمد العياشي.

– النبذه المحتاجة في ذكر ملوك صنهاجة، للشيخ أبو عبد الله محمد بن علي بن حمادة الصنهاجي، ورجع الورثيلاني أيضا إلى حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي، وكتاب عقود الجمان في مختصر أخبار الزمان لمحمد الشاطبي.

– عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس أحمد الغبري

– الوغليسية لعبد الرحمن الوغليسي، وكتاب مختصر خليل لابن إسحاق.

– ألفية النحو للشيخ ابن معطي الزواوي.

المطلب الثاني: دراسة محتوى المخطوط ظاهريا

إن كتاب نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار يحتوي على451 صفحة، ولا يحتوي على فصول ولا أبواب، وإنما المؤلف يذكر الأحداث التي شاهدها والمناطق والأولياء والعلماء، فالكتاب حققه محمد بن أبى شنب، الطبعة الأولى من إصدار المكتبة الثقافية الدينية 2008م، القاهرة. وما يؤكد أن الكتاب ينتسب إلى الورثيلاني، أننا عندما نطالع النص يوجد فيه عبارات الدالة على أنه هو الذي قام بذلك مثل: كررت وفعلت وتوجهنا وقلت وزرت.

في بداية الكتاب يوجد كلمة للمصحح، حيث يتحدث فيها المحقق محمد بن أبي شنب على النسخ التي اعتمد عليها في التصحيح، بالإضافة إلى ترجمة للمصنف حيث تحدث عبد القادر بن محمد الصغير عن الورثيلاني، ومؤلفاته وشوقه للحج والمصادر التي اعتمد عليها.

بدأ الورثيلاني كتابه بخروجه من بسكرة حيث يذكر أنه زار الأولياء فيها والعلماء، وعزمه للذهاب للحج في العام 1199هـ إلا أنه لم يذهب للحج هذا العام.

فالورثيلاني يؤمن بالكرامات والخرافات كثيرا، حيث كان يزور الزوايا والمشايخ وقد زار ورجة، الموجود فيها العالم الشهير أحمد بن أمزيان، ووصف أهلها بالطيبة وكثرة الخيرات الموجودة فيها، ثم توجه إلى بجاية وقد أعجب لما فيها من العلم، ثم اجتمع مع مركب زواوة ونوّه إلى الآداب التي يجب على المسافر التحلي بها لتكون حجته صحيحة، ثم خرجوا من بني يعلي وتوجهوا إلى زمورة التي يصفها بأنها كثيرة المياه والثروات، إلا أنها يكثر فيها الظلم، ثم توجهوا إلى المغرب ومن ثم إلى قصر الطير وانقسم الحجاج إلى فريقين، فريق منهم توجه إلى وادي رأس اسلي، والفريق الآخر ومعهم الورثيلاني توجهوا إلى أرض الحضنة ثم توجهوا إلى بسكرة وهي كثيرة المياه ويوجد فيها الجامع الأعظم، ثم توجهوا إلى القيروان وزار عقبة ابن نافع ثم نزلوا في مدينة توزر في عام 1153هـ فأكرموا ضيافتهم ثم توجهوا إلى زواقه.

ذكر وصولهم إلى طرابلس:

حيث يصف الورثيلاني عمورة وأهلها أنهم أناس طيبين، ويبرز الورثيلاني في كتابه كل شيء سواء المدن، والطرق والأسواق، والشراء والبيع حيث يبدى إعجابه بطرابلس وأن أهلها طيبين مقارنة بأهل مصر، ومن بعدها نزلوا في الإسكندرية عند الحاج أبى القاسم القرارى وأكرمهم، ثم توجهوا إلى تاجوراء، وقد تحدث عن بلاد سرت بحيث أنها من أخصب البلاد ثم نزلوا بتميمي على شاطئ البحر ثم إلى الشهامة، وقد وصف ابن خلدون مصر حيث قال: هي أم البلاد غربا وشرقا وأن أخبار مصر مستوفى في كتب تواريخها، ومن علمائها بالأزهر الشيخ أبا الحسن الأجهري.

ذكر خروجهم من مصر:

خرج المحمل من القاهرة بعدما جهز للسفر باتخاذ الزاد وشراء الإبل وكرائها، ويوم خروج المحمل هو يوم الزينة، أما المغاربة فلا يخرجون إلا بعد أيام، وذلك لظلم الركب المصري، ثم وصلوا إلى إمبابة وجهة بولاق وتعرض الركب للنهب من أحد الجنود، ثم قرروا السفر مع سلطان فزان وحاكمه لعدله، وقد زار في هذه الحجة محمد الحفناوي والشيخ الجوهري، ومن بالأزهر من علماء وطلبة، وزار في الحجة الثانية الشيخ البليدي وحضر في حجته الأولى لبعض الدروس وزار العديد من العلماء والفقهاء، وفى الحجة الأولى اجتمع مع الولي الصالح الشيخ الصباغ الإسكندري، والشيخ الهاشمي المغربي، ومحمد الكردي والجوهري وقد كان الورثيلاني حكيما في المسائل الفقهية، وكان الورثيلاني متعجب من مصر وحالها.

وبعدما ارتحلوا إلى عش الغراب ثم بندر المويلج ومنها إلى الشراقة، وكان الترحال على عدة مناطق إلى غاية وصولهم إلى قرية بندر وحنين التي بها مسجد العريش وموضع حوض المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، وتهيئوا إلى الإحرام فحافظوا على استحضار النية ثم بلغوا الكديد عند الظهروصلوا لمسجد ينتسب لسيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

وكان السير على عدة مراحل من بدر إلى أن دخلوا العقبة، دخلوها بشرهة عظيمة وبعدها مروا بالعديد من المناطق إلى أن وصلوا إلى مسجد السيدة عائشة، وفي هذا المكان يحرم الناس بالعمرة لأنه لابد أن يحرم منه، وصعدوا إلى الثنية قاصدين أم القرى ثم دخلوا من باب المعلي وهي الثنية التي دخل منها صلى الله عليه وسلم وهي المسماة بكداء، ولقد بالغ الولاة في حفر هذه الثنية وتنقيتها من الأحجار حتى صارت كالأزقة ومنها يشرف الإنسان على مقبرة الحجوني، وهي إحدى المقابر التي تضيء لأهل السماء.

المبحث الثاني: الدراسة الباطنية

المطلب الأول: النقد الإيجابي

أ-الشخصيات

لقد ذكر الورثيلاني في رحلته الكثير من الشخصيات كالأولياء والعلماء، والأماكن التي زارها أو وصفها، ولأن الورثيلاني ذكر الكثير من الشخصيات والأماكن ومن الصعب التطرق إليها جميعا، سنتطرق إلى بعضها فقط:

- الأخضري عبد الرحمن:(916 هـ-948هـ) (1514م-1546م)، هو أبو زيد عبد الرحمن بن سيدي محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضري البنطيوسي، دخل مبكرا المدرسة القرآنية التي كان يشرف عليها والده، وهو من علماء عصره ومن بين مؤلفاته "السلم المرونق" و"الدرة البيضاء"، وكتاب اللب المصون على الجوهر المكنون، وكتاب القدسية في التصوف الذي حققه الحسين الورثيلاني، توفي في منطقة قيجل بسطيف، ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه في بنطيوس([1]).

- ابن مرزوق الحفيد:(766هـ-842هـ) (1364م-1440م) هو محمد بن احمد بن أبي بكر بن مرزوق الحفيد العجيسي التلمساني، ولد بتلمسان أخذ العلم عن والده الذي كان مفتيا مشهورا وأخذ عن جماعة من المشايخ المعلمين منهم الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد عبد الله بن الإمام، أما مؤلفاته فهي كثيرة منها: شروحة الثلاثة على البردة، المفاتيح القرطاسي

([1]) عاشور شرقي: المرجع السابق، ص 59.

فشرح الشقراطية، أرجوزة في الميقات سماه المقنع الشافيقي ألف وسبعمائة بيت، توفي في 842هـ، 1440م ودفن بالجامع الأعظم بتلمسان([1]).

– أحمد بن يحي الونشريسي: هو أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد ابن علي الونشريسي حامل لواء المذهب، على رأس المائة التاسعة، أخذ عن شيوخ تلمسان مثل أبي الفضل قاسم العقباني وعبد الله الجلاب وغيرهم، توفي 914هـ لما استولى الفرنج* عن وهران وعمره 80سنة([2]).

– عبد الرحمن الوغليسي: هو عبد الرحمن الوغليسى، البجائي عالم ومفتي وفقيه، من مؤلفاته الجامعة في الأحكام الفقهية على مذهب الإمام مالك، وتسمى بالوغليسية، وتوفي الوغليسي أواخر القرن18م([3]).

– أحمد بن إدريس: هو أحمد بن إدريس البجائي كبير علماء بجاية، كان زاهدا خليلا وعلامة بارعا، أخذ عنه أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي، له تعليقا على البيوع من مختصر ابن الحاجب، وله شرح على ابن الحاجب([4]).

– سيدي أبو مدين الغوث التلمساني: هو أبو مدين سيد العارفين، وقدوتهم جمع بين الشريعة والحقيقة، قام داعيا للحق وكان زاهدا فاضلا، عارضا بالله تعالى وهو من أعلام العلماء وحافظ الحديث ،خصوصا جامع الترمذي.

([1]) مهتاري المولودة زرقة فائزة: أضرحة الأولياء في الغرب الجزائري دراسة تاريخية ومعمارية من خلال بعض النماذج، أطروحة دكتوراه ، 2005م–2006م، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ص106.

* الفرنج: هو الاسم الذي أطلقة العثمانيون على فرنسا أولا، ثم على الأوربيين المنتسبين للمذهب الكاثوليكي والبروتستانتي الموجود في العالم الإسلامي، للمزيد ينظر، سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مر عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد، 2000م، الرياض، ص 165.

([2]) أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، القسم الأول، مؤسسة الرسالة، ط1، 1998م، تونس، ص59.

([3]) نفسه: ص68.

([4]) أبو القاسم الحفناوي تعريف الخلف برجال السلف، القسم الثاني، المصدر السابق، ص ص 30–31.

– علي بن موسى: هو الولي والقطب الشهير سيدي علي بن موسى، كان في القرن التاسع الهجري، معاصر للشيخ يحي العبدلي، وصديقا له، وكان للشيخ كرامات باهرة، وله خاصية الرقية([1]).

–سيدي أحمد بن عمار: هو أحمد بن عمار بن عبد الرحمن بن عمار الجزائري اشتغل بالحديث والتاريخ، ولد ونشأ بمدينة الجزائر وولي الإفتاء بها، له الرحلة الحجازية وغيرها من المؤلفات([2]).

– عبد الرحمن الثعالبي:785هـ، 1384م ينتمي إلى قبيلة الثعالبيه، تلقى العلم في مسقط رأسه تلمسان ثم تنقل بين بجاية وتونس وتركيا ومصر والحجاز، وتتلمذ على يد كبار علمائها ومشايخها، ثم عاد إلى الجزائر بعد 20عام أي820هـ، 1417م ومكث فيها، إلى أن وافته المنية، تولى وظائف التدريس والقضاء ومشيخة مدينة الجزائر، وله العديد من المؤلفات من أهمها سيدي عمر التنسي وسيدي الشاذلي ([3]).

– عبد الرحمن بن القاسم: عالم الديار المصرية ومفتيها، أبو عبد الله العتقي مولاهم المصري صاحب مالك الإمام، وقال فيه ابن الحارث، كان في ابن القاسم، العبادة والسخاء والشجاعة، والعلم والورع والزهد ([4]).

– العياشي: محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي العراقي، توفي في حدود سنة 320هـ، عدد مصنفاته تزيد على مائتين منها الأجوبة المسكنية، تفسير القرءان.

([1]) أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، القسم الثاني، المصدر السابق، ص ص177، 272.

([2]) محمد عوادي: المرجع السابق، ص 17.

([3]) سلسلة المشاريع الوطنية للبحث: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، ط خ، (ب.س)، (ب.م)، ص ص 302–303.

([4]) شمس الدين بن محمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج9، تح كامل الخياط، مؤسسة الرسالة، ط1،1982م، بيروت، ص226.

– ابن سحنون: محمد بن سحنون التنوخي المغربي المالكي، الفقيه المناظر المفتي يقال أنه توفي 256هـ، له تصانيف كثيرة في عقد المذاهب منها أربع كتب في شرح المدونة.

– الإمام الشافعي: محمد بن إدريس بن عثمان ابن شافع القريشي، أبو عبد الله الإمام الشافعي، ولد بعسقلان سنة 150هـ له من التصانيف، إثبات النبوة والردي على البراهمة وغيرها، توفي في 250هـ بمصر([1]).

– محمد امقران: هو سيدي محمد امقران وهو من القرن العاشر الهجري وأخذ من القرن الحادي عشر الهجري، وله كرامات ظاهرة وأحواله باهرة.

– محمد بن عزوز البرجي: هو الولي الأكبر القطب الأشهر الشيخ سيدي محمد بن عزوز ولد بالبرج من صحراء بسكرة في حدود 1170هـ، نشأ في أحضان والده حفظ القرءان الكريم واشتغل بتحصيل العلم، وله عدة مؤلفات أغلبها في قواطع المريد وشرح على التلخيص، وقد توفي 1233هـ ودفن بالبرج وله ضريح مقدس يأتيه الزوار للتبرك به.

– سيدي يحي العيدلي: الشيخ الولي الصالح والقطب الواضح يحي اليعدلي، شهد بقطبانية الشيخ عبد الرحمن الصباغ شارح الوغلسية، وكذا البردة، وله من العلم الظاهر والباطن، وأن له من الكرامات شيء عظيم، وشهد له عبد الرحمن الثعالبي بذلك ([2]).

– سيدي خالد: شخصيه دينية مرموقة،عاشت بين القرن السادس للهجري والسابع للهجري، كان أبوه قاضيا في فاس المدينة التي أسسها جده إدريس المصغر، أشتهر بروحانيته، وعند

([1]) إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مج 2، وكالة المعارف الجليلة،1955م، استانبول، ص ص17، 32، 9.

([2]) أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف السلف برجال الخلف، القسم الثاني، ص ص356، 474، 584.

وفاته قام أحفاده بتأسيس عدة زوايا، في غرب البلاد أشهرها زاوية بوشارب وزاوية سيدي خالد([1]).

ب-الأماكن

تطرق الورثيلاني في رحلته إلى العديد من الأماكن التي زارها منها:

- مكة المكرمة: هي بلد مقدس عند المسلمين، وعاصمة الحجاز، وهي مسقط الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنها انطلق الإسلام وانتشر في سائر أرجاء شبه الجزيرة العربية ثم الشام ومصر والغرب وبقية العالم، ومن معالم مكة المكرمة الهامة المسجد الحرام، والكعبة الشريف ومقام سيدنا إبراهيم عليه السلام([2]).

- تلمسان: تقع تلمسان غرب المغرب الأوسط أو الجزائر حاليا، بالقرب من الحدود الشرقية للمغرب الأقصى، تشتهر تلمسان بوليها الصالح سيدي بومدين (توفي1197ه) ومؤرخها الشيخ المقري، وكانت عاصمة الموحدين في القرن 14م([3]).

- قسنطينة: تتوسط إقليم الشرق الجزائري تحدها من الشمال، ولايتي سكيكدة وجيجل ومن الغرب ولاية ميلة أما الجنوب تحدها ولاية أم البواقي كما تحدها قالمة شرقا، ويعود تاريخ تأسيسها إلى نهاية القرن التاسع قبل الميلاد، وقد وصفها العبدري في رحلته بالمدينة العجيبة الحصينة ذات الأراضي الزراعية الخصبة بأنها لخطوب الزمان مستنكيه، فقد نشفت المحن المتتالية عليها، وقد نعتها بالحسناء لجمالها([4]).

([1]) عاشور شرقي: المرجع السابق، ص860.

([2]) حسان حلاق: مدن وشعوب إسلامية، دار الراتب الجامعية، (ب.س)، بيروت، ص ص155، 156.

([3]) نفسه :ص156.

([4]) نفسه :ص156.

– بجاية: تقع في الشمال الشرقي للمنطقة الوسطى من البلاد، يحدها شرقا ولاية جيجل وغربا ولايتي البويرة وتيزو وزو، وجنوبا سطيف وبرج بوعريريج، وشمالا البحر المتوسط، ولقد كانت عاصمة الحماديين في القرن الحادي عشر للميلاد، وشهدت ازدهارا ملحوظا، في تلك الفترة، ووقعت تحت الاحتلال الإسباني 1510م وأقاموا فيها حامية عسكرية، وحررها صالح رايس سنة1555م([1]).

– تونس: تقع تونس شمال القارة الإفريقية، يحدها شمالا البحر المتوسط وشرقا البحر المتوسط وليبيا، ويحدها جنوبا ليبيا والجزائر، وغربا الجزائر، لقد اكتسبت تونس شخصيتها الإسلامية منذ دخول الإسلام إليها، واشتهرت تونس بمدينة القيروان التي تعتبر أول مدينة إسلامية في المغرب الإسلامي، التي أنشأها عقبة ابن نافع عام 670م، واشتهرت بجامع الزيتونة الذي لم يكن جامعا فقط بل جامعة أيضا([2]).

–القدس: مدينة القدس العاصمة المقدسة لفلسطين، وكانت تسمي القدس الشريفة باسم اورسيم، وتعود الآثار فيها إلى الألف الثانية ق.م، وفي عام 614م أحرقها الفرس ثم سلمها بطريركها صفرونيوس، للخليفة عمر بن الخطاب عام 638 م، ودعاها العرب القدس خاصة بعد أن أسري إليها النبيء محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وكان المسلمون قبل الهجرة يصلون باتجاه بيت المقدس، وبعد الهجرة بستة عشرة شهرا تغير اتجاه الصلاة نحو الكعبة([3]).

– سيدي خالد: بلدية تقع على بعد 110كلم، جنوب غرب ولاية بسكرة([4]).

([1]) عاشور شرقي: المرجع السابق، ص ص451، 1117،

([2]) نفسه: ص161.

([3]) حسان حلاق: المرجع السابق، ص23، 157.

([4]) عاشور شرقي: المرجع السابق ص 860.

– القاهرة: أسسها القائد الجوهر الصقلي سنة 969م، وهي عاصمة مصر، وتعتبر القاهرة من المدن الإسلامية التي تتمتع بثقل ثقافي وحضاري وتاريخي، وما يمز القاهرة جامع الأزهر الذي أنشأ سنة972م، في المنطقة المجاورة لقصر المعز، حيث يعتبر من أهم المعالم الدينية والثقافية والعلمية، وتطورت المدينة في عهد صلاح الدين الأيوبي ([1]).

ج –المفاهيم:

أشار الورثيلاني إلى العديد من المفردات الغامضة التي نريد شرحها لتسهيل فهم النص منها:

– الزاوية: في الأصل هي ركن البناء، وكانت تطلق على صومعة الراهب المسيحي، ثم أطلقت على المسجد الصغير أو المصلى، لقد جمعت الزاوية بين هندسة المسجد والمنزل، فهي قصيرة منخفضة القباب، إن شكل الزاوية يوحي بالعزلة والتقشف والهدوء، تتكون الزاوية من مباني محاطة بحائط في وسط ضريح لأحد المرابطين تعلوه قبة، وإذا كان بالزاوية مسجد فهو بدون مئذنة، كما يوجد فيها حجرة لتحفيظ القرءان وحجرة للترتيل وحجرات يأتي إليها الشيخ الحالي والأعضاء للطريقة، بالإضافة إلى إيواء المنتسبين والمسافرين، ويلحق بالزاوية مقبرة للذين أوصوا أن يدفنوا بها، فالزاوية مكان للعبادة ومدرسة ومأوى([2]).

– آغا: مصطلح من أصل فارسي ويعني السيد وقد استعمله الأتراك لدلالات كثيرة، منها أنها كانت تطلق على الضابط الأمين مثل الإنكشاري الذي لا يحتاج عمله إلى معرفة القراءة والكتابة، ومنها أيضا صاحب المناصب الكبيرة([3]).

([1]) حسان حلاق: المرجع السابق ص43.

([2]) بعرايسة صباح: حركة التصوف في الجزائر خلال القرن 10 هـ–16م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، 2005م–2006م، جامعة الجزائر، ص ص27.

([3]) سهيل صابان:ص15.

– الإنكشارية: هي فيالق عسكرية، تكونت من أبناء رعايا الدولة، الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة والخامسة عشر، من مختلف الولايات العثمانية في أوربا، ولقد قدمت الانكشارية للدولة العثمانية في القرنين السابع عشر للميلاد، والثامن عشر للميلاد، خدمات كبيرة ثم فسد نظامها، وأصبحت تخلق المشاكل للدولة([1]).

الباشا: وهو لقب عثماني أطلق على رتب متعددة، عسكرية ومدنية، وأطلق أيضا على الذين يرقون إلى درجة وزير وأمير الأمراء، كما استخدم للعسكريين الحائزون على رتب، أمير اللواء والفريق والمشير([2]).

السلطان: لقب من الألقاب الذي استخدمه الحكام، في الدولة العثمانية، ابتداء من عهد السلطان يلدم بايزيد([3]).

سنجق: ومعناها اللغوي العلم واللواء الخاص بالدولة، ثم تطورت الدلالة فأصبحت تعني قسما إداريا من أقسام الدولة، أي كانت الأقسام الإدارية ترتب على هذا النحو ناحية، قضاء، سنجق، ولاية والسنجق يشتمل من خمسة إلى عشرة قضاءات([4]).

الرباط: هو كل موضع حصين ينشأ على الحدود، يقيم فيه ويلازمه أولئك الذين نذروا أنفسهم للجهاد في سبيل الله، فهم يقضون وقت فراغهم بالمجاهدات النفسية، والصلاة الطويلة والصيام المستمر، والتلاوة الدائمة للذكر، والرباط عند الصوفية هي الأماكن التي يلتقي فيها الصالحون

([1]) بعرايسة صباح:المرجع السابق،ص41.
([2])سهيل صابان: المرجع السابق، ص 52.
([3]) نفسه :ص 135.
([4]) نفسه :ص 136.

المؤمنين، ويجمعون فيها العبادة والجهاد مع المداومة والالتزام بذلك، وتربط صاحبها على المعاصي ([1]).

تحتوي الرحلة الورثيلانية على العديد من الشخصيات خاصة أنه ينتمي إلى طريقة صوفية وهو يحترم الأولياء، أي أن كل زاوية يزورها يذكر وليها، إضافة إلى أن الورثيلاني زار العديد من الأماكن خاصة أن طريقه للحج كان في البر، وحاولنا التعريف ببعض الشخصيات ولو كان تعريفا موجزا، وتطرقنا لبعض المدن التي زارها الورثيلاني بالإضافة إلى شرح بعض المفاهيم التي تعتبر نوع ما غامضة لفهم النص.

المطلب الثاني: النقد السلبي

أ-الدوافع التي أدت إلى كتابة هذه الرحلة

إن السبب أو الدافع الذي جعل الورثيلاني، يقوم بإنشاء هذه الرحلة هو أنه يعتبر علم التاريخ وسيلة تعليمية لتهذب النفس، وتحث على التمسك بالعقيدة الإسلامية، والأخلاق الكريمة خاصة أنه رأى أن أهل وطنه عدم مهتمين بالتاريخ وسخريتهم من دراسته، ودارسيه فالورثيلاني يرى أن العلماء تزيد مرتبتهم وتنقص بعلم التاريخ، فهو طموح إلى نيل مرتبة عليا علما وولاية.

والغاية من كتابة الأخبار تكمن في كون الورثيلاني يعتبرها موعظة للإنسان المؤمن فهو يذكر في هذا الموضوع بحيث يقول: "إن أوصاف الطريق وبأن المواضع فيه اعتبار ودلاله على أثار قدرة الله تعالى، وتسخير الأكوان لنا والتنقل من حالة لحالة لترتقي بذلك صالح

([1]) نعيمة بده زكري: التيارات الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرن 7ه/13م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، 2015م-2016م، جامعة الوادي، ص47.

السلوك، وأن هذا الصدد أشبه بشيء بطريق الآخرة، وناهيك بشيء يكون سببا في الوصول إلى مرضاته" ([1]).

إن الرحلة الورثيلانية هي عبارة عن تراجم لحياة عدد من العلماء والأولياء، الذين ذكر أوصافهم ويدعي الورثيلاني على الاقتداء بهم وتتبع أثارهم، باعتبار أن هذا النوع من الآثار منعدم في الوطن، لأن التراجم في وطنه مهمل فأراد أن يصف كل ما شاهده، خاصة أنه ذهب للحج وأتاحت له هذه الرحلات فرصة اكتشاف طرق ومسالك ومدن وقرى وتقاليد وعادات المشارقة والمغاربة على حد سواء، فقرر الورثيلاني أن ينشأ رحلة عظيمة يستعظمها البادئ ويستحسنها الشادى، فإنها تزهوا بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار([2]).

إن اهتمام الورثيلاني بالتاريخ، وتعلقه بالعلماء والأولياء جعله يكتب هذه الرحلة ليستفيد منها غيره، ولقد ساعدته رحلاته المتعددة نحو المشرق على ذلك، حتى انه أطلق عليه بعض المؤرخين على أنه مؤرخ وجغرافي الوطن العربي في القرن الثامن عشر للميلاد وتصف رحلته بالرحلة العلمية والدينية والحجازية.

من الصعب التحقق من صدق معلومات المؤلف في كتابة رحلته، إلا أننا نحاول مقارنته بمعاصريه الذين كتبوا في تلك الفترة، فنجد أن المعلومات التي تطرق إليها المؤلَّف تتطرق إليها تقريبا كل المصادر والمراجع، خاصة في ما تعلق بالحالة الاجتماعية والسياسية والثقافية للجزائر خلال القرن الثامن عشر للميلاد فقد وصف الورثيلاني في رحلته الوضع الاجتماعي المتردي التي آلت إليه الجزائر بالإضافة إلى الأمراض والمجاعات والزلازل التي تعرضت إليها الجزائر مما زاد من حدة الوضع سوءا، ولكن نلاحظ أن الورثيلاني لم يتطرق إلى احتلال وهران 1732م، وهذا ربما كانت رحلته إلى الشرق أي لم يزورها ليتحدث عليها.

([1]) عبد القادر صحراوي: المرجع السابق، ص 245.

([2]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص ص17،18.

ب- تقييم الرحلة

وبعد دراستنا لهذا الكتاب نجد أن الورثيلاني، وفق في الكثير من النقاط التي ذكرها وأخفق في بعض النقاط:

– نلاحظ أن الورثيلاني عندما أملى رحلته على تلاميذه، لم يمليها وفق خطة مفصله بأبوابها وفصولها، إنما اتبع الطريقة الإنشائية، أي سرد الأحداث دون التقيد بالفواصل والنقاط فهذا يؤدي إلى صعوبة التمييز بين المواضيع المطروحة.

–عدم التزامه كثيرا بالموضوع الأساسي، وهذا ما أدى إلى شيوع ظاهرة التكرار، والاستطرادات في كامل الكتاب([1]).

– التحلي بالورع والتقوي فهو يكثر الثناء عند ذكره لأشخاص الذين تعرف عليهم، ونالوا إعجابه ويصفهم بعبارات، الشكر والتقدير، والإجلال كما أنه حريص كل الحرص، على التقرب من رجال العلم، وزيارة الأضرحة والأولياء الصالحين والدعاء عنده كضريح عقبة بن نافع وخالد بن سنان، وذكر للكرامات وروايته لبعض الخرافات والتي لا يسلم بصحتها يسجلها في خانة النوادروالطوائف ويعلق عليها غالبا بقوله "الله أعلم "([2]).

– نجد أن الورثلاني يذكر الآيات دون ذكر الآية أو كم رقمها، والصفحة، وفي آية سورة، ويوردها دون ذكر البسملة، وعدم التنبه بأنها آية إلا بعد القراءة، بالإضافة إلى كثرة الاقتباسات من الرحلات الأخرى حتى أن المحقق أشار إلى ذلك وإلى كثرة الفراغات وبعض الكلمات الغير مفهومة، مما اضطر المحقق إلى الرجوع إلى تلك الرحلات، وخصوصا إلى الرحلة الناصرية، ولقد كان الورثيلاني أيضا في بعض الأحيان يهمل اسم المصدر وصاحبه

([1]) رقية شارف: المرجع السابق، ص140.

([2]) ناصر الدين سعيدوني: من التراث، المرجع السابق، ص454.

ومع الاقتباس الغير منظم أي لا يشير إلى انه نص مقتبس ويتميز أسلوبه بكثرة المحسنات البديعية ([1]).

– عدم اعتماد الورثيلاني على التأريخ في كثير من الأحيان وإن اعتمد على التأريخ فإنه يعتمد عل التأريخ الهجري ولا يذكره كاملا.

– النظرة التشاؤمية للأحداث فهذا يدل عن عدم رضاه عن الواقع فالورثيلاني، يؤخذ الناس على طبائعهم غير الأخلاقية وينتقد المجتمع الجزائري ويصفه بالجفاء وسوء الأدب وعدم النهي عن المنكر، وكان الورثيلاني متحامل على العثمانيين وبين ظلم الحكام وكثرة المظالم والفساد في تلك الفترة وهذا يعني أن الحكام العثمانيين غير متحكمين في الأوضاع ([2]).

– إن أسلوب الورثيلاني يعكس روح العصر وطبيعة البيئة التي عاشها المؤلف حيث أنه كان أسلوبه سهل يسهل للقارئ مطالعته، بحيث أنه جاء في شكل نثر وشعر وأحكام وأمثال.

– تميز أسلوب الورثيلاني بالعاطفة، حيث أننا نجد يكتب من عقيدته الإسلامية ليعبر عن إنتمائه الإسلامي الوطني.

– الصراحة التي كان يتمتع بها الورثيلاني، والجهر بالحق وإبراز رأيه اتجاه القضايا المطروحة.

– التحري بالحقيقة فهو لا يكتفي بما شاهده أو روي بل يلتجئ في بعض الأحيان لتأكيد رواية واستكمالها من كتب رحالة سابقين أمثال سالم العياشي، وابن ناصر الدرعي والتجاني والعبدري ([3]).

([1]) رقية شارف: المرجع السابق، ص149.

([2]) ناصر الدين سعيدوني: من التراث، المرجع السابق، ص455.

([3]) سميرة أنساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى، 2009م، الجزائر، ص68.

ج-القيمة العلمية للرحلة

- تعتبر هذه الرحلة من أهم المصادر التاريخية في القرن الثامن عشر للميلاد، بحيث أنه يمكن للمؤرخ أن يعتمد عليها لإعادة صياغة التاريخ في الوطن العربي، خاصة أن الورثيلاني أعطى صورة عن الوضع العام للجزائر وبعض البلاد التي زارها، وما نلاحظه عن الورثيلاني، انه ترك انطباعات حول الأوضاع الاقتصادية والسياسية، والاجتماعية والثقافية والدينية لتلك المناطق([1]).

- اشتملت الرحلة معلومات هامة حول موكب الحج في تلك الفترة، والطرق المؤدية للحج والصعوبات التي يواجهها الحجاج آنذاك، والخلافات التي تقع بين الحجاج وأسبابها ودور موكب الحج في التواصل الاقتصادي والثقافي، وعلاقة الحج بطلب العلم([2]).

- بينت الرحلة مظاهر التفكك الاجتماعي التي أصبحت علية الجزائر، حيث أن الورثيلاني وصف وصفا دقيقا المجتمع الجزائري، وما وصل إليه من الجهل والانحطاط، واهتم الورثيلاني بالعلماء والأولياء، حيث أن الرحلة احتوت على عدد كبير من العلماء والأولياء سواء كانوا بالجزائر أو البلاد التي زارها كتونس ومصر وغيرها([3]).

([1]) مختار بن الطاهر فيلاني: المرجع السابق، ص75.

([2]) مايسة حراش: المرجع السابق، ص51.

([3]) حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، ط1، 2008م، الجزائر، ص217.

خلاصة الفصل

وما نستنتجه مما ذكر آنفا أن الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار 1713م-1779م، التي حققها محمد ابن أبى شنب وطبعت بالمكتبة الدينية الثقافية، اشتملت على جزئين، ونحن بصدد دراسة الجزء الأول منها، ولقد اجتهد محمد ابن أبي شنب في تحقيقه للرحلة.

وهناك عدة أسباب جعلت الورثيلاني يكتب هذه الرحلة حيث اعتبر أن التاريخ وسيلة تعليمية لتهذب النفس، وتحث على التمسك بالعقيدة الإسلامية، وقد أتاحت رحلات الحج فرصة الكتابة، وتعتبر رحلة الورثيلاني موسوعة من الأخبار الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للعالم الإسلامي، لما شملته من أخبار هامة في القرن الثامن عشر الميلادي.

إن ما ميز رحلة الورثيلاني هو التزامه بالصدق في سرد الأحداث واعتماده على عدة مصادر واقتباساته المتعددة تثبت الأمانة العلمية التي تميز بها الورثيلاني، وسنتطرق في الفصل الثالث لصورة المجتمع الجزائري من خلال الرحلة الورثيلانية.

الفصل الثالث

واقع المجتمع الجزائري سياسيا واقتصاديا من خلال الرحلة الورثيلانية

المبحث الأول: الواقع السياسي

المطلب الأول: نظام الحكم والتنظيم الإداري

المطلب الثاني: النظام القضائي

المبحث الثاني: الواقع الاقتصادي

المطلب الأول: الزراعة

المطلب الثاني: الصناعة

المطلب الثالث: التجارة

الفصل الثالث: واقع المجتمع الجزائري من خلال الرحلة الورثيلانية سياسيا واقتصاديا

المبحث الأول: الواقع السياسي

ليس من الممكن أن نصف مجتمعا دون التطرق إلى طبيعة حكمه، أو العلاقة بين الرعية والحاكم، باعتبار أن الرعية هي المحرك الأساسي للمجتمع، فكيف صور الورثيلاني المجتمع الجزائري من خلال رحلته.

المطلب الأول: نظام الحكم والتنظيم الإداري

صوّر لنا الورثيلاني المجتمع الجزائري من الناحية السياسية، ولكنه لم يتطرق إلى طبيعة نظام الحكم في الجزائر بالتفصيل أي من كان يحكم الجزائر والتنظيم الإداري الذي كان يسير البلاد، فالوثيلاني يتحدث بإيجاز عن الحياة السياسية فالجزائر– في نظر الورثيلاني– بلد مهملا يعيش سكانه في الفوضى والفتنه المستمرة الدائمة بلا حكومة ولا سلطان فدأب الحكام فيها إلى الظلم والتعسف فيقول في هذا الصدد "غير أنه خال من السلطان وأحكامه فالوطن سائب...عمره الله على سلطان عدل" إن الورثلاني يعتبر أن الحكم العثماني لم يشمل كافة البلاد خاصة وطنه ([1]).

ما يثبت ذلك أن القوات العسكرية التي سخرتها السلاطين العثمانيين لفرض سلطتهم على البلاد لم تتجاوز عشرة آلاف عسكري، بل هناك إحصائيات قد قدرت أقل من هذا العدد، وهذا العدد لا يمكنه أن يسمح بتغطية كل مساحة البلاد الشاسعة، ولهذا فإن الحكم العثماني تركز في المدن والأرياف أما المناطق الجبلية في الشمال والصحراوية في الجنوب

([1]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص44.

التي كانت بعيدة عن مراكز السلطة وكذلك بعدها الجغرافي كانت تتمتع بالاستقلال النسبي([1]).

استطاع الحكام العثمانيون السيطرة على البلاد وإخضاعهم لسلطتهم،بالرغم من أن القوات العسكرية لم تكن بالعدد الكافي([2])، ولم تقتصر سيطرة الحكام بالقوات العسكرية فقط بل تنوعت وسائلهم، وأجهزتهم ما جعلهم يتحكمون في أنحاء كثيرة من البلاد، وكانت هذه الوسائل تتمتع بالمرونة وهيمنتها أحيانا أخرى، وما أثبت أن تلك الأساليب كانت ناجحة هو استمرار الحكم العثماني في الجزائر.

لم يتطرق الورثيلاني في رحلته إلى تفاصيل طبيعة الحكم، وإلى إدارته غير أننا سنحاول أن نتحدث عن طبيعة نظام الحكم والتنظيم الإداري أثناء عصره.

أ-نظام الحكم

إن نظام الحكم في فترة الدايات كان يتمتع باستقلالية، خاصة بعد ما رفض الداي على شاوش الباشا المبعوث من طرف السلطان العثماني ([3])، وطرده للباشا المبعوث وقد بعث الداي علي شاوش مذكرة للسلطان أحمد الثالث شرح فيها العواقب التي ستؤدي إلى ازدواجية الحكم واستطاع الداي علي شاوش إقناع السلطان بذلك وأصبحت الجزائر مستقلة([4]).

كان نظام الحكم في الجزائر خلال 1713م تحكمه الفئة الانكشارية والداي ينتخب لمدى الحياة، وكان منصب الداي تتولاه في الغالب إحدى الشخصيات في الدولة وهي

([1]) أرزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني 1519م-1830م، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ، 2005م -2006م ، جامعة الجزائر ص23.

([2]) أرزقي شويتام: المجتمع، المرجع السابق، ص23.

([3]) T.shaw: voyage dans la Regence D'algrer ou Deseripion ,trceduit del'anglais J.Mac Carktht ,Rue desavour,N°11,1830,Paris,p152.

([4]) مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة،1964م، الجزائر، ص209.

الخزناجي* أو الآغا أو خوجة الخيل إلا أن هذا القانون لم يكن أساسيا، فبإمكان الجندي أن يكون دايا. وكانت تتمثل مهام الداي في توفير الأمن والمحا فضة على النظام بالإضافة رعاية مصالح الإيالة، فضلا عن إشرافه على النظام الاقتصادي للبلاد، ولقد كانت للداي امتيازات مالية يتمتع بها.

وكان للداي عدد من الموظفين المساعدين ومن أهمهم: الخزناجي، وبيت المالجي، وخوجة الخيل، وكيل الحرج ووآغا العرب([1]).

ب-التنظيم الإداري

لقد حرص العثمانيين أثناء حكمهم للبلاد على تقسيمها، وتنظيمها بأجهزة ليسهل التحكم فيها.

-التقسيم الإداري

قسمت الجزائر خلال العهد العثماني إلى عدة مقاطعات:

- دار السلطان: وتخضع مباشرة لرؤساء السلطة التركية، وكانت تضم الجزائر، شرشال، مليانة ودلس والبليدة والقليعة، وتنقسم إلى أوطان يحكمها قواد تحت إشراف آغا العرب، قائد الجيش، وكل وطن يتكون من دواوير([2]).

- بايليك الشرق: وعاصمته قسنطينة وحكمها الأتراك مع كل نواحي الجبلية والصحراوية عن طريق الرؤساء المحليين.

---

* الخزناجي: وهو المكلف بأموال الدولة، الداخلية والخارجية، ويعرف بوزير المالية اليوم، للمزيد ينظر: محمد بن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تع محمد بن عبد الكريم، الشبكة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1981م، الجزائر، ص34.

([1]) ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000م، بيروت، ص ص216-243.

([2]) حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص ص146، 148.

– بايليك الغرب: لقد كانت عاصمته مازونة ثم تغيرت وأصبحت معسكر، وكانت لها صبغة حربية نظرا لتوتر العلاقات بين الأتراك والمغاربة، والاحتلال الإسباني لها.

– بايليك التيطري: وتعتبر أصغر البايليكيات وعاصمتها المدية، حيث يحدها شمالا سهل متيجة وتونس، ومن الشرق وطن بني سليمان وبني جعدو عريب وقيادة سباو حمزة ([1]).

– الأجهزة الإدارية

لقد كانت المقاطعات تحكمها أجهزة إدارية حيث تقسم الإدارة على المستوي المحلي إلى ثلاث أقسام:

– إدارة الباي: كان الحكام يعينون على رأس كل بايلك بايا وهناك ثلاث بايات، والباي كان يجب أن يكون له كفاءة في التسيير، ولكن تغير هذا المبدأ فأصبح الباي يجب أن يكون له علاقة مصاهرة مع الأهالي، وخاصة الأعراش والقبائل وللتقرب من شيوخها وذلك لمساعدته في التحكم على الفتن وحركات التمرد، أما عن أصل الباي فكان يجب أن يكون تركيا أو كرغليا، إلا أنه تم تعيين البايات من أصل عربي وكانت مهمة الباي تتمثل في تسيير شؤون البايليك، والسهر على أمنه واستقراره وجمع الضرائب من الأرياف.

وقد كان للباي عدد من الموظفين يساعدونه في تسيير البايليك، وهم الخليفة والخزناجي وشيخ البلد وآغا الدواوير والباش كاتب والباش مكاجل والباش سراج والباش سنار ويوجد موظفين يساهمون كذلك، كقائد الباب وقائد السوق وقائد القصبة وقاضيان ومفتيان([2]).

– إدارة المدن: كان الداي يعين على رأس كل مدينة قائدا فتعتبر المدينة إحدى الوسائل الناجحة، التي وظفها الحكام لإخضاع بعض القبائل الممتنعة عن دفع الضرائب، فقد كانت

([1]) حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص ص146، 148.

([2]) أرزقي أوشويتام: المجتمع: المرجع السابق، ص ص29، 30، 31.

القبائل تتردد على السوق لأنه يعتبر بمثابة فضاء اجتماعي واقتصادي وثقافي، يلتقي فيها الناس من مختلف الجهات، وكان تعقد فيه التحالفات السياسية بين بعض القبائل وكذا تصفية الحساب، واستغلت السلطة العلاقة بين المدينة والريف لكي تفرض الضرائب على القبائل الممتنعة.

– إدارة الأرياف: قسم البايليك إلى عدة أجزاء تعرف بالأوطان ويحتوي كل وطن على مجموعة من القبائل والأعراش والدواوير، وكان لكل وطن قائد ولكل قبيلة أو دوار شيخ([1]).

كانت مهمة القائد تتمثل في الإشراف على شؤون الأهالي ويسهر على الأمن والسير الحسن للأسواق وأمن الطرقات، أما مهام الشيخ فتتمثل في دور الوسيط بين الرعية والحاكم ويتولى جمع الضرائب.

بالإضافة إلى هذه التنظيمات التي جعلها العثمانيون لتسهيل تسيير البلاد، عملوا على تشييد الأبراج التي كانت تقيم بها الحاميات العسكرية، وكان دورها يتمثل في دعم المحلة أثناء الخروج، لجمع الضرائب وكانت تلك الأبراج في السهول، وسفوح الجبال، حيث تتركز قبائل المخزن، ويصف الورثيلاني البرج بقوله:" أن برج النوبة من الترك فيها قائد لا لها سائد بهم يظلم وكيدهم في نحرهم"، فهنا يؤكد أن دور الأبراج هي ضم الضرائب ومراقبة الأهالي، وأن القادة تتصف سياستهم بالظلم والجور والتعسف ([2]).

بالرغم من التنظيمات التي سعت السلطة المحلية لتدبير الأهالي، وتسيرهم فإن الوضع الداخلي كانت تسوده الاضطرابات المتواصلة، والتناحر على الحكم والاستبداد الأمر الذي أدى إلى نشوب الفتن الأهلية، والشعور بعدم الأمن، بالإضافة إلى إرهاق الناس بالضرائب والإتاوات مما دفع الناس إلى التمرد والعصيان الذي كثيرا ما ووجه بالقوة وسفك

([1]) أرزقي أوشويتام: المجتمع، المرجع السابق، ص 41.

([2]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق،ص102.

الدماء، وهذا ما تحدث عنه الورثيلاني في رحلته من فساد الحكم وسيادة الظلم والثورات والاضطرابات، التي قامت ضد النظام التركي المتعسف حسب رأيه للسكان.

لقد تميز حكم الولاة بالظلم والتعسف والجور، مما أدى بالسكان إلى الثورات والتمردات مثل([1]): تمرد الحنانشة التي كانت في صراع دائم مع الجزائريين، ومع التونسيين حيث هاجمهم باي قسنطينة 1724م واستولى على ثمانية آلاف جمل وعدد من الأبقار والخيام التي تملكها القبيلة، مع هذا لم يكن الباي راضيا، حيث أراد أن يقضي على الشيخ بوعزيز ولقد ظلت علاقة الحنانشة مع الأتراك بين مد وجزر.

لقد سعى الأتراك في بداية القرن الثامن عشر الميلادي، إلى إقامة مواقع دائمة في وادي سباوا خاصة بعدما أنشئوا برج تزغات، على يمين سباوا إلا أنه تعرض إلى التدمير، وكان يحكم المنطقة يوختوش حيث كان يقطن بالجمعة "الصهريج" وقد وقع صراع بينه وبين السلطة التركية بقيادة علي خوجة، واستطاع علي خوجة أن ينتصر عليه، وأقام علي خوجة مخزنا، من قرى عمراوة وأقام برج سباوا وبرج بوغني وبرج تيزي وزو وبهذه الطريقة ولج الأتراك إلى المنطقة عن طريق الأودية التي أقاموا فيها الأبراج والحاميات([2]).

تعرض الأتراك في المنطقة إلى قبيلة فليسة1747م حيث أحاطت بالقبيلة قوات بقيادة باي قسنطينة وأخرى، بقيادة باي التيطري وكانت الحملة بقيادة الآغا، وأنظم له قائد سباو، وأحاطت هذه القوات الجبال، التي سدت القبائل كل منافذها، استغرقت الحرب مدة سنتين خسر خلالها الأتراك المعركة([3]).

([1]) صالح بن نبيلي فركوس: المرجع السابق، ص343.

([2]) صالح عباد: الجزائر خلال العهد التركي 1514م-1830م، دار هومة، ط2، 2007م، الجزائر، ص155.

([3]) أحمد الشريف الزهار: مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، 1980م، الجزائر، ص28.

وقد تجدد تمرد فليسة وذلك1767م، حيث رفضت دفع الضرائب، وعملت على إخضاع القبائل المجاورة لها، التي كانت تعترف بالسلطة المركزية، فشكل الأتراك حملة من ألف ومائة رجل من الإنكشاريين، والقوم والعرب وضعوها تحت قيادة آغا العرب، لكن هذه المحاولة فشلت، وجهز أيضا في السنة الموالية 1768م حملة بقيادة أحمد القلي* وشاركت في الحملة قوات من قسنطينة والتيطري وبايليك الغرب، ولكن أمام التصدي القوي لقبائل "فليسة" خسر الأتراك وجنحوا إلى السلم ولكن قبيلة فليسة، رفضت التفاوض وواصلت التمرد إلى الغرب حتى وصلت سهل متيجة، فقرر الداي محمد بن عثمان ضرب حصار عليها فقد ألحق الحصار أضرار كبيرة، دفع قبيلة فليسة إلى التنازل بأن تدفع الضريبة ومنع السلطة التركية من الدخول إلى قبيلة فليسة ([1]).

وصف الورثيلاني قبيلة النمامشة بأنها أقبح الناس، وأكثرهم شرا وهم متمردون في الصحراء لا يخضعون لباي تونس، ولا لباي قسنطينة وهم قطاع طرق يعيشون على النهب والسلب والغارات.

صور لنا الورثيلاني الحكام الأتراك بالظلمة والمتعسفين، حيث يتصفون بضعف سلطتهم وانعدام نفوذهم على السكان، خاصة أهل الجبال والمناطق البعيدة عن مركز السلطة.ولم يعد يتحكم فيهم والفصل في خلافاتهم إلا العلماء والمرابطين وبما انه من تلك الفئة فعليه القيام بالإصلاح ليكفوا عن المعصية([2]).

فهنا يبين الورثيلاني دور العلماء والمرابطين في المجتمع، حيث أنهم كانوا يلعبون دور الوساطة بين الرعية والحكام، خاصة المرابطين الذين كانت لهم سلطة في القبائل، ولقد

* أحمد القلي: باي قسنطينة من 1756م-1771م، شهدت فترة حكمة عدة إنجازات فقام ببناء برج الفسقية، توفي 1771م.

([1]) صالح عباد: المرجع السابق، ص166.

([2]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق ص138.

كان الورثيلاني بدوره يذهب لبعض القرى بنفسه ([1])، حيث يجدها مدمرة ومخربة بسبب الفتن والحروب، وكان الورثيلاني يذهب إليها آملا في بالتعاون مع حاكمها للصلح مثل أمير مجانة وبعض قبائل بني عباس وقرية سيدي البهلول. إن الورثيلاني ينتقد الحكام الأتراك ويصفهم بضعفهم وتعسفهم للسكان، ولكنة لا ينكر وجود شخصيات محبوبة لدى الأهالي مثل الباي أحمد الذي حكم قسنطينة عام 1756 م- 1771م، حيث أن هذا الباي أمر من الورثيلاني أن يتدخل عندما قامت القبائل من الجليين كبني إبراهيم وأولاد الخلف وبني عشاش بالتمرد، حيث أن الورثيلاني أمر الخليفة أن يعتقل منهم مائة وسبعين شخصا، حتى يتوبوا ويرجعوا إلى الطاعة أو السكون ([2]).

المطلب الثاني: النظام القضائي

أما النظام القضائي الموجود في الجزائر خلال القرن الثامن عشر للميلاد، فكان يستمد تشريعاته من الشريعة الإسلامية، وهذا ما بينه الورثيلاني بقوله: "وكان أهلها على مذهب أهل المدينة "([3])أي المالكي، وكان النظام القضائي ينقسم إلى قسمين مذهب مالكي ومذهب حنفي، هذا الأخير يتعلق بالأتراك والكراغلة وبعض الحضر، أما الطوائف الأخرى فإنها تستند إلى المذهب المالكي([4])، ولقد كان القاضي الحنفي له الأولوية في إصدار الأحكام، وكان النظام القضائي يقتصر على المناطق التي تخضع للسلطة التركية أما المناطق الأخرى فكانت يحكمها شيوخها ومرابطيها ([5]).

وما يلاحظ على القضاء أنه يتميز بالظلم والتحيز، فالأتراك عندما يحاكمون فالعقوبات تطبق سريا لحفظ كرامتهم، أما السكان فإنهم يعاقبون أمام الملأ بعد أن يشهر بهم

([1]) نفسه:ص138.

([2]) مختار بن الطاهر فيلالي: المرجع السابق، ص102.

([3]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص122.

([4]) حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تق محمد العربي الزبيري، منشورات ANEFK، 2006م، الجزائر، ص 72.

([5]) ناصر الدين سعيدوني: تاريخ، المرجع السابق، ص121.

في الأسواق، ولقد نوّه الورثيلاني في رحلته، أن المفتين كانوا يتصفون بالظلم، حيث أنهم كانوا يؤخذون الرشاوى من السكان، وكانوا مشهورون بظلمهم في بعض القرى كقرية عيدل، وإن دل هذا فإنه يدل على فساد الجهاز القضائي([1]).

ولعل ما يبرز النظام القضائي في الجزائر هو تأثيره على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتنظيمات التي خضعت لها مؤسسة الوقف، بحيث أصبحت الأملاك الموقوفة التابعة لها في العهد العثماني تستحوذ على عدد كبير من الأملاك، ومثال ذلك الجامع الأعظم الذي كان يستحوذ على عدد كبير من الأوقاف، إن تزايد الأوقاف ونموها تزايد مع تزايد الزوايا والطرق الدينية وانعدام الأمن وتفشي الظلم، ولقد كان للوقف عدة مؤسسات دينية مثل مؤسسة الحرمين الشريفين،ومؤسسة الجامع الأعظم وبقية المساجد، ومؤسسة سبل الخيرات المخصصة للإنفاق على المساجد الحنفية ([2]).

لعبت الأوقاف دورا مهما في المجتمع، حيث كانت ينفق منها لطلبة العلم وإنشاء المدارس والمساجد والزوايا وكفالة بعض الأيتام والمعوزين، إن الوقف ساهم بصفة كبيرة في تماسك الأسرة وتضامنها بين بعضها البعض، ولكن للأسف تعرضت للتعسف من قبل الحكام العثمانيون، كما ذكر الورثيلانيي أن العثمانيين لما دخلوا بسكرة استولوا على الأحباس فأكلوا وانتفعوا منها([3])، وإن هذا الانتفاع من الأموال الآتية من المدارس والمساجد فهو أمر غير شرعي لأنها أموال العامة([4]).

لقد صور لنا الورثيلاني المجتمع الجزائري في القرن الثامن عشر للميلاد، من الناحية السياسية، على أنه مهملا ويعيشون في الفتنة والصراعات الدائمة، ويرجع ذلك في نظره إلى

([1]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص ص142، 143.

([2]) ناصر الدين سعيدوني: تاريخ، المرجع السابق، ص123.

([3]) فاطمة بن مصباح: إدارة الأوقاف في الجزائر أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر، 2015م، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص37.

([4]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص142.

أن حكام الأتراك الذين لا يحكمون كافة البلاد، وعدم الاهتمام بها خاصة الجبال والأماكن البعيدة عن مركز البايليك.

نلاحظ أن الورثيلاني متحامل على حكم الأتراك وتعسفهم، غير أنه لم يتطرق إلى الدور الذي لعبه شيوخ القبائل، الذين كانت لديهم سلطة قوية على القبائل التي يحكمونها، بالإضافة إلى أن الورثيلاني لم يتطرق للتنظيمات الإدارية التي قام بها الحكام لتسهيل التحكم في كافة البلاد، وهذا ما يؤكد أن العثمانيين حرصوا كل الحرص على التحكم في البلاد، خاصة بعدما عمل علي شاوش على استقلالية الجزائر عن الدولة العثمانية حيث أن العلاقة في عهده أصبحت شكلية فقط.

بالإضافة فالمجتمع الجزائري يتأثر بالمحيط الخارجي، إذ لا يمكنه العيش من دونه خاصة أنها تمتلك أسطول بحري وهو بالنسبة إليها مورد أساسي لخزينة الدولة، لقد استطاعت الجزائر أن تسيطر على البحر المتوسط، وتفرض الضرائب عن الدول، إن القوة التي يمتلكها الأسطول الجزائري جعل من الدول تطلب ودها ، ولما تناقص نشاط البحرية الجزائرية، اتجهت السلطة التركية إلى فرض الضرائب عن الأهالي لتعويض المدخولات الآتية من العالم الخارجي خاصة أن الجزائر كانت تتمتع بموقع استراتيجي هام، وهذا مما جعلها تفرض الضرائب عن تلك الدول.

تعرضت الجزائر للعديد من الحملات والغارات الخارجية حيث لم تسلم من التدخلات التونسية من الشرق، والمغربية من الغرب، ولكن الجزائر استطاعت أن تسيطر عن الأوضاع غير أن الحملة التي كانت على وهران من قبل الإسبان1732م، كان لها الأثر البالغ فقد استطاعت إسبانيا أن تحتل وهران، وكان أثره على المجتمع خاصة القبائل التي أصبحت عميلة للإسبان، مثل قبائل "بني عامر".

لقد أثر حكم الأتراك على المجتمع الجزائري خاصة أن حكمهم اتصف بالظلم والجور، لأنهم لم يكون يسيطرون على كافة البلاد، وقد أرهق الأتراك السكان بالإتاوات والضرائب، هذا ما أدي إلى توتر العلاقة بين الأهالي والحكام، وهذا مما أدى إلى كثرة التمردات والاضطرابات، رغم ذلك لا ننكر وجود حكام اتصفوا باللين في التعامل مع السكان، ولقد تميز النظام القضائي بوجود قاضيان حنفي ومالكي، هذه صورة المجتمع سياسيا أما اقتصاديا سنتطرق إليها في المبحث الموالي.

المبحث الثاني: واقع المجتمع الجزائري اقتصاديا

يمثل الاقتصاد قطاعا مهما في الحياة الاجتماعية باعتباره يرتكز على عناصر أساسية وهي الزراعة، والصناعة، والتجارة، وبما أن تقدم الدول يحدد بمدى وفرة هذه العناصر وقدرة الإنسان على استغلالها والاستفادة منها، فالمجتمع الجزائري في القرن الثامن عشر ميلادي كان يتميز بنشاط زراعي وصناعي وتجاري.

المطلب الأول: الزراعة

لقد كان المجتمع الجزائري معظمه يعيش في الأرياف، ولهذا كان اقتصاده زراعيا في المرتبة الأولى، حيث كانت معيشتهم تعتمد على الزراعة وتربية المواشي، إن اتساع رقعة الأرض الزراعية واعتدال المناخ وتنوع التضاريس، وخصوبة التربة أدى إلى تنوع المحاصيل الزراعية والغطاء النباتي، ولقد نوّه الورثيلاني في رحلته على تنوع المحاصيل، فيؤكد أن البلاد موجود فيها الخيرات في كل مكان، إلا أن بعض الأماكن منها يطغى عليها الظلم والجور "فزمورة كثيرة المياه وأرضها ذات زرع وضرع"([1]).

اشتهرت الجزائر بزراعة القمح حيث أنه كان من أجود أنواع القمح حتى كان ينافس محاصيل الدول الأجنبية، فهذا مايؤكده القنصل الأمريكي بالجزائر شارل بقوله: "وهذا القمح مشهور بالأسواق الإيطالية ويفضله التجار، على جميع أنواع القمح الأخرى لجودته"، وكانت أهم المناطق التي يزرع بها القمح في الجزائر هي سهول قسنطينة، ومتيجة وعنابة، ومعسكر والتيطري وتلمسان([2]).

([1]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص108.

([2]) وليام شارل: مذكرات وليام شارل قنصل أمريكا في الجزائر 1816م-1824م، تع إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م، الجزائر، ص ص29، 30.

كما كانت تزرع الحبوب إلى جانب القمح، على اعتبار أن الحبوب الاستهلاك الأساسي للفرد الجزائري بالإضافة إلى بعض الأشجار المثمرة والتين والزيتون والكروم والأرز والتفاح والإجاص والبرتقال والأشجار الغير مثمرة ([1]).

ولتنظيم الأرض واستغلالها أحسن استغلال ولبعث نشاط اقتصادي محلي، قسمت ملكية الأرض إلى عدة أنواع:

– ملكية البايلك: وهي الأرض التي تمت حيازتها من طرف الحكام بالشراء، أو وضع اليد عليها في حالة الشغور، وتميز هذا النوع من الملكيات بخصوبة تربته وإنتاجه الوفير، من الحبوب مثل: سهول عنابة ونواحي قسنطينة، وحوض سباو والشلف وسهول متيجة ووهران وكان يشرف على تسيرها المصالح الإدارية مع مساعدة قبائل المخزن.

– ملكية الخواص: وهي قليلة لا تكاد تكون موجودة إلا في ضواحي المدن، فكانت تستأجر للخواص، أو يقتطعونها لبعض الموظفين الإداريين، والمرابطين، مقابل الخدمات التي يقدمونها للسلطة([2]).

– ملكية العرش: وهي تستغل جماعيا حسب قدرة أفراد القبيلة، وتحت مراقبة شيخ الدوار الذي يحرص على ترك مجال مشترك للرعي ولجمع الخشب، ويتدخل بمساعدة أعيان القبيلة في إعادة توزيع الأرض عند شغورها([3]).

([1]) ج. أوهابسبترايت: رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ –1732م، تر ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، (ب، س)، تونس، ص ص 50، 55.

([2]) ناصر الدين سعيدوني: ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس، دار البصائر، ط2، (ب. س)، الجزائر، ص ص72، 73.

([3]) دليلة رحمون: السياسية الزراعية الفرنسية في الجزائر وأثرها على المجتمع الجزائري 1830م–1914م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث، 2012م–2013م، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص15.

أراضي الوقف: وهي المحبسة والمقصود منها أعمال الخير وهي تابعة للمؤسسة الدينية تحت إشراف الوكيل أو الناظر([1]).

أما في مجال تربية الحيوانات فاهتم المجتمع الجزائري بتربية الحيوانات، ولكنها تختلف من منطقة إلى أخرى حسب التساقط فتتدرج من الشمال إلى الجنوب فالأبقار شمالا والأغنام والإبل والجمال جنوبا، فكانت منطقة الهضاب العليا والصحراء، تربى فيها الأغنام والجمال والمنطقة التلية تربية الأبقار أما الماعز والخيول والبغال، فإنها توجد في القبائل، كانت تربية الحيوانات منتشرة في الجزائر خاصة المناطق الريفية، التي تهتم بتربية الحيوانات لأنها إنتاجها الزراعي يتطلب ذلك فهي وسيلة ومنتج([2]).

ساعدت العوامل الطبيعية الجزائر على أن تكون بلدا زراعيا، مما مكنها من تحقيق حاجيتها وتصديره للخارج خاصة بالنسبة للقمح الذي كان من أجود الأنواع، لكن الكوارث الطبيعية مثل الزلازل والجفاف أدت إلى إتلاف المحاصيل، بالإضافة إلى الضرائب التي تفرضها الدولة أثنت من تشجيع الفرد على الزراعة.

-الضريبة (لجباية)

لقد عملت الدولة على فرض الضرائب على الفلاح، حيث خضعت الملكيات لفريضة العشور*عن المحاصيل الزراعية، والزكاة على المواشي، فالعشور، تحدد لكل مشية أو

([1]) ناصر الدين سعيدوني: ولايات، المرجع السابق ص74.

([2]) أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للتوزيع، ط3، 1982م، الجزائر، ص ص152، 153.

*العشور: مفردها العشر وهي ضريبة شرعية تؤخذ من المحاصيل الزراعية بنسبة واحد من العشرة، للمزيد ينظر سهيل صابان المرجع السابق: ص155.

جابدة* صاع من القمح وآخر من الشعير، مع إضافة حمولتين من التين ومقدار من الزبدة.

أما ملكية العرش خضعت لعدة ضرائب مالية، حيث تختلف التسميات كالغرامة والمعونة والخطية والمجبى، وهي تأخذ عينا من المحاصيل، أو تدفع نقدا، بالإضافة إلى المساهمات لفائدة الشيوخ مثل: العادة الضيافة الدنوش* والقانون ومهر باشا([1]).

أما ملكية البايليك تتميز بنظام ضريبي خاص إذ كان يؤخذ جزءا من المحصول، إذا استغلت أراضي الدول مباشرة لاستخدام الأجر. أما في ما يخص أراضي الوقف فكانت لا تخضع لأي ضريبة نظرا لأحكام الشرعية ([2]).

إن الضرائب التي تفرضها الدولة على الفلاح بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية جعلته ينفر من الزراعة ويتبنى الصناعة.

المطلب الثاني: الصناعة

لقد كانت الجزائر تتميز بصناعة تقليدية، حيث كان الصناع يعتمدون على المهارات اليدوية والتقاليد المتوارثة، وكانت تستمد خامتها الأولية من الإنتاج الزراعي والحيواني، ومن أهم الصناعات أو الحرف التي مارسها المجتمع الجزائري هي الصناعة النسيجية والقطنية والفخارية، والمعدنية والخشبية، ورغم وجود الصناعة نجد ان الورثيلاني لم يتطرق لها، ولا نعلم لماذا لم يتحدث عنها في رحلته فسنحاول التطرق إليها ولو بإيجاز.

---

*جابدة: وهي عبارة عن مساحة من الأرض تتراوح مساحتها بين ثمان وعشر هكتارات.، للمزيد ينظر، وفاء العيفة: السياسة الاقتصادية الفرنسية في الجزائر من الاحتلال إلى غاية 1900م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر، 20112م-2013م، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص10.

*الدنوش: ما يحمل سنويا من الأموال إلى الداي عربون طاعة وولاء، للمزيد ينظر، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، المرجع السابق، ص302

([1]) ناصر الدين سعيدوني: ولايات، المرجع السابق، ص75.

([2]) نفسه: ص ص75، 76.

إن الأسرة الريفية كانت تعتبر من حرفتها مصدرا لرزقها، فكانت تسوق جزءا كبيرا من المنتجات، أما في المدن فكانت الصناعة أكثر تنظيما فكانت تنجز في ورشات خاصة من طرف العمال، وكانت لكل حرفة شارعا معين في المدينة ويحمل اسم الحرفة مثل: زنقة النحاس والمقايسة، والصباغين، والعطارين، وقد ساهم الحكام في تشجيع الصناعات بالإضافة إلى المهاجرين الأندلسيين واليهود، الذين اشتهروا بجودتهم ومهارتهم الصناعية ومن أهم الصناعات التي كانت في الجزائر([1]):

أ- الصناعة النسيجية

عرفت الصناعة انتشارا كبيرا وذلك لتوفر المواد الخام مثل الصوف والكتان، وكانت الصناعة متنوعة مثل الزرابي والبرانس، والأغطية، والشواش، بحيث اشتهرت قسنطينة في نسج الحبال، أما بني عباس وبني ورثيلان وبني عيدل فكانت تنتج البرانس.

لقد كانت الصناعة النسيجية تولى اهتماما كبيرا، مما يدل على ذلك العدد الكبير من الحرفين والورشات التي كانت مخصصة لهذه الصناعة، بالإضافة إلى عدة محلات للطرز والخياطة، وكانت الصناعة النسيجية تلعب دورا مهما في المجتمع الجزائري، لأنها كانت توفر له حاجاته وذلك بالاعتماد على نفسه([2]).

ب- الصناعة الفخارية

لقد كانت صناعة الفخار من أقدم الصناعات نظرا لأهميتها الاجتماعية والاقتصادية للفرد، فهي توفر الأدوات الأساسية للاستعمال المنزلي فلهذا كانت معظم المدن والقرى تصنع

([1]) أرزقي شويتام: المجتمع، المرجع السابق، ص 288.

([2]) أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766م-1791م، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م، الجزائر، ص174.

الأواني الفخارية، ومواد البناء كالقرميد والآجر، وساهم الأندلسيون في تطويرها فظهرت عدة ورشات، وأفران لصناعة الجير ([1]).

ج- الصناعة الجلدية

كانت رائجة في المدن والبوادي وكانت تستعمل الجلود المحلية لصناعة الأحذية بمختلف أنواعها وألوانها ولوازم الخيول والمحافظ.

د- الصناعة المعدنية: إن الجزائر كانت توجد فيها مسابك لصناعة المدافع، والقذائف والبنادق والأقفال وصناعة الأبواب، والشبابيك وقد كانت تتم في المدن الكبرى كالجزائر وقسنطينة، قلعة بني راشد، وتعتبر دار النحاس من أهم المسابك ([2]).

هـ- الصناعة الخشبية

وقد كان المجتمع الجزائري يعتمد على الأخشاب المحلية، لصناعة الخشبية، حيث استطاع أن يصنع منها الأدوات المنزلية كالخزائن والأبواب والنوافذ، كما اعتنت الجزائر عناية خاصة بصناعة السفن وتصليحها لأنها كانت بحاجة إلى أسطول قوي لمواجهة الأخطار الخارجية([3]).

لم تتطور هذه الصناعات اليدوية التقليدية، من حيث النوعية أو الكمية، ولم تكن منافسا قويا للمصنوعات الأوربية لجودتها وزهد ثمنها، وكان لابد على المجتمع لتحقيق حاجاته أن يتفاعل فيما بينه وبين العالم الخارجي.

([1]) نور الدين عبد القادر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، 2006م، الجزائر، ، ص146.

([2]) وفاء العيفة: المرجع السابق: ص14.

([3]) ناصر الدين سعيدوني: ولايات، المرجع السابق، ص ص96، 97. للمزيد حول الصناعة في الجزائر ينظر للمحق رقم3ص91.

المطلب الثالث: التجارة

استطاع الفرد الجزائري أن يشكل نشاطا تجاريا وتجلى ذلك في الأسواق والدكاكين والمحلات المنتشرة في المدن والقرى وانقسمت التجارة إلى خارجية وداخلية.

أ-التجارة الداخلية

إن تنوع الإنتاج الذي شهدته الجزائر، أدى إلى تنشيط التجارة، وأصبحت المدن المهمة مراكز تجارية، خاصة تلك التي كانت مقرا للجهاز الإداري المركزي، واستقرار الجند والتجار واتصالها بالخارج، ولقد ساعد هذا على تطوير التجارة وانتشار الأسواق فمدينة الجزائر أصبحت مقصدا للتجار حيث كانت تنتشر بها الأسواق والدكاكين والمخازن مثل سوق الرحبية والزيت وسوق الصوف، ورحبة الزرع وغيرها([1]).

وباعتبار الريف الممول الرئيسي للمدن فكانت القبائل تأتي بإنتاجها إلى أسواق المدينة، لتتم المبادلات التجارية، فكانت رحبة الزرع مثلا هو المكان التي تلتقي فيها القوافل التجارية القادمة من مختلف البلاد، حيث كان المزارعون يعرضون إنتاجهم للبيع ([2]).

وعرفت الأرياف أيضا حركة تجارية واسعة حيث كانت تنتشر فيها الأسواق الأسبوعية التي تعقد في مختلف المناطق التلية، وكان للدولة هدف من إقامة الأسواق وهو إخضاع بعض القبائل وأخذ الضرائب منها، ومن أهم هذه الأسواق، سوق أولاد مختار وأولاد عنان وبايليك التيطري، وسوق الحراكنة، وادي العثمانية السنوية بايليك الشرق، وأولاد عياد، وأولاد الأكراد بايليك الغرب.

([1]) أرزقي شويتام: المجتمع، المرجع السابق، ص136.

([2]) نفسه: ص136.

ما يلاحظ على التجارة الداخلية أنها اعتمدت على الأسواق الأسبوعية، وأن الإدارة كانت تتحكم فيها وذلك بغية تحقيق أهدافها وهو إثراء الخزينة من الضرائب، وإخضاع القبائل الممتنعة لسلطتها، ولقد ساهم في تحقيق ذلك الأسواق.

ب-التجارة الخارجية

لم تقتصر التجارة في الجزائر خلال القرن الثامن عشر للميلاد على التجارة الداخلية فقط، بل امتدت إلى ما وراء الحدود بحيث تنوعت الصادرات والواردات على كثير من الأقطار الإسلامية والإفريقية والبلدان الأوربية، وقد ساعد هذا التنوع بصلات الجزائر بتلك البلدان وحرية التجارة وكانت التجارة الخارجية توفر المواد التي لا توجد في الجزائر، وعلى الرغم من أهميتها إلا أن الورثيلاني لم يتطرق إلى التجارة الخارجية، وسنحاول أن نبين مدى أهمية التجارة الخارجية في الجزائر وما هي أهم المواد التي كانت الجزائر تستوردها وتصدرها، وما هي ابرز الدول التي تتعامل معها.

- تركيا: حيث كانت تستورد منها الجزائر الأقمشة القطنية، والأثاث وأدوات الزينة، مقابل تصدير المصنوعات المحلية([1]).

- تونس والمغرب الأقصى: لقد عرفت التجارة نشاطا كبيرا خاصة مع تونس حيث كانت المبادلات تتم عن طريق القوافل وكانت ترحل من قسنطينة والواحات متجهة إلى المدن التونسية نفطة وغدامس، وأما عن أهم المواد المصدرة إليها فتتمثل في التمور والتبغ والمنتجات الصوفية والقبعات من سعف النخيل، أما المستوردة فكانت العطور والأقمشة الحريرية، والشالات والقطنيات الأوربية والأسلحة والكبريت([2]).

([1]) ناصر الدين سعيدوني: تاريخ ، المرجع السابق، ص 210.

([2]) كوثر العايب: العلاقات الجزائرية التونسية خلال العهد الدايات 1711م-1830، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، 2013 م-2014م، جامعة الوادي، ص ص60، 61.

أما المغرب الأقصى فكانت ضعيفة مقارنة بتونس وكانت نفس المواد التي تستوردها من تونس، ولكن الجلود كانت تستوردها الجزائر بنسبة كبيرة([1]).

– أقطار المشرق العربي: حيث كانت يستورد منها السجاد العجمي والأقمشة والعقاقير وأدوات الزينة والقطن والأرز، وتصدر إليها الزرابي والحايك والأنسجة الصوفية([2]).

– الدول الإفريقية: لقد كانت للجزائر علاقات تجارية مع دول إفريقية مثل، النيجر ومالي ونيجريا وقد أنشأت عدة محطات تجارية عبر الصحراء، وكانت المواد المصدرة تشتمل الأقمشة الصوفية والمصنوعات الأوربية والزيت والأدوات النحاسية ويستورد منها العبيد، وريش النعام وجلود البقر والعاج والبخور([3]).

– الدول الأوربية: كانت اغلب المبادلات التجارية تتم مع الدول الأوربية، ولاسيما مع فرنسا التي كانت تستحوذ على العلاقات التجارية مع الجزائر منذ القرن الثامن عشر للميلاد،وتمكنت فرنسا من تأسيس مؤسسة تجارية ومركز لصيد المرجان بالقالة ([4])، وكانت من أبرز المواد التي تستوردها الجزائر من فرنسا العقاقير والمصبرات، والأدوية والمجوهرات وغيرها، وتصدر إليها الجزائر المرجان والحبوب والجلود والشمع والحيوانات([5]).

أما إنكلترا كانت تستورد السلاح والعتاد والآلات الحديدية وبعض العقاقير، بينما كانت الجزائر تصدر الحبوب والصوف والحيوانات، واسبانيا تجلب من عندها الرصاص والكبريت والأغطية والمعادن، أما بالنسبة للدويلات الإيطالية فتأتي منها الأقمشة، والأدوات

([1]) أرزقي شويتام: المجتمع، المرجع السابق، ص243.

([2]) ناصر الدين سعيدوني: تاريخ ، المرجع السابق، ص211.

([3]) محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر، (ب. س)، الجزائر، ص ص168، 169.

([4]) أرزقي شويتام: المجتمع، المرجع السابق، ص246.

([5]) محمد بن سعيدان: علاقات الجزائر مع فرنسا 1070–1170هـ/1659–1756م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، 2011م–2012م، غرداية، ص103–116.

الحديدية بالإضافة لأن الجزائر كانت تتعامل مع هولندا، الولايات المتحدة، والدول الإسكندنافية ،وبقية الدول الأوربية ويأتي منها العتاد الحربي ومواد البناء كالسفن الحبال والأشرعة والقطن الأمريكي([1]).

وقد كانت الدولة تفرض الضرائب والرسوم الجمركية على التجارة، خاصة أن التجارة في يد الخواص، أما التجارة بين الجزائر والمشرق فكانت عبر قوافل الحجاج المتجهة نحو الحجاز وقد كان يجلبون المواد، رغم الصعوبات التي يتعرض إليها الحجاج من قطاع الطرق والاغتيالات إلا أنها ساهمت في تنشيط التجارة في الجزائر.

([1]) نور الدين عبد القادر: المرجع السابق ص148.

خلاصة الفصل

وما نستخلصه مما سبق أن الورثيلاني صور لنا المجتمع الجزائري من الناحية السياسية والاقتصادية، فمن الناحية السياسة فإنه ينتقد الحكام وحكمهم الذي حسب رأيه لم يشمل كافة البلاد، ولكنه في نفس الوقت لا ينكر وجود حكام اتصفوا باللين، وأن سياسة الحكام القائمة على التتريك، أدت إلى العديد من الثورات والتمردات التي يكون ضحيتها المجتمع مثل تمرد قبائل فليسه، وقبائل النمامشة وغيرها، أما النظام القضائي في الجزائر، فإنه ينقسم إلى مالكي وحنفي، وذلك لأن المجتمع الجزائري يتكون من طوائف.

أما المجتمع الجزائري من الناحية الاقتصادية، فقد تميز بتنوع ثرواته الزراعية، خاصة أن المجتمع الجزائري مجتمعا ريفيا، وكان يعتمد على إنتاجه لتحقيق حاجياته، وكانت الجزائر تتعرض إلى الكوارث الطبيعية، بالإضافة إلى الضرائب التي تفرض على السكان من طرف الحكام.

هذا ما جعل السكان يتوجهوا إلى الصناعة فاحترفوا العديد من الصناعات التي تلبي رغباته كالصناعة النسيجية والفخارية، وقد أنشأت الدكاكين والأسواق لبيع منتجاتهم وهذا ما ساعد على التبادلات الداخلية بين مختلف المناطق، وحتى من خارج الوطن حيث ساعدت القوافل التجارية من تونس وإفريقيا على تشجيع التبادل التجاري، بالإضافة إلى دول المشرق والبلاد الأوربية.

الفصل الرابع

واقع المجتمع الجزائري اجتماعيا وثقافيا من خلال الرحلة الورثيلانية

المبحث الأول : واقع المجتمع الجزائري اجتماعيا

المطلب الأول: التركيبة الاجتماعية

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية

المبحث الثاني: واقع المجتمع الجزائري ثقافيا

المطلب الأول: المدارس والمساجد

المطلب الثاني: الزوايا والعلماء

المطلب الثالث: رحلة الحج

الفصل الرابع: واقع المجتمع الجزائري من خلال الرحلة الورثيلانية اجتماعيا وثقافيا

المبحث الأول: الواقع الاجتماعي

إن معرفة صورة المجتمع الجزائري من الناحية الاجتماعية، يجب التطرق إلى التركيبة الاجتماعية، التي تتكون منها المدن والأرياف والحالة الاجتماعية للسكان.

المطلب الأول: التركيبة الاجتماعية

لقد كان سكان الجزائر يختلفون حسب معيشتهم، فمنهم من كان يقطن المدن ومنهم الأرياف، وسكان المدن بحد ذاتهم ينقسمون إلى مجموعات، وهذا الأمر ينطبق حتى على سكان الأرياف.

1- سكان المدن

فالورثيلاني يؤكد أن المجتمع الجزائري توجد فيه الطبقية حيث يذكر في رحلته أنه لما حان وقت الطعام جمعوا الناس، وقد رتبوهم حسب شخصياتهم ومظهرهم، فاقعدوا المرابطين وذوي الهيئات من الملابس الفاخرة عن جهة، هذا يدل ربما على أن هؤلاء لهم مكانة مرموقة أما الناس يلبسون لباسا عاديا من جهة أخرى، وكان شيخ بين الشعب يلبس لباسا عاديا، طلبوا منه أن يجلس مع أوباش ولم ينتبهوا انه شيخ إلا بعد حين([1]). وهنا يتضح أن المجتمع الجزائري ينقسم إلى فئات متعددة وتختلف من فئة إلى أخرى وأهم هذه الفئات، فئة الأتراك والكراغلة وطبقة الحضر، والبرانية والدخلاء.

([1]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص88.

أ_ الطبقة التركية

تتشكل من الطبقة الحاكمة والجنود الأتراك، الذين كانوا يستقرون في الحصون والثكنات والحاميات، حيث أن عددهم كان قليل حيث قدر بعشرين ألف نسمة، ويرجع المؤرخون قلة العدد التركي رغم المدة الطويلة التي قضاها الأتراك بالجزائر هو التجائهم إلى استقدام جماعات تركية للعمل في الأوجاق، بالإضافة إلى عدم رغبتهم في([1]) الاختلاط مع العنصر العربي، وباعتباره عنصر لا يرتقي للعنصر التركي، وكان الأتراك يفضلون العزلة رغبة في المحافظة على امتيازاتهم، وكان أغلب الأتراك يعملون في الجيش والوظائف الإدارية، والاشتغال في الدكاكين، بالإضافة إلى أن معظم الأتراك يفضلون العيش في المدن مثل مدينة الجزائر، تلمسان، لقليعة وغيرها([2]).

ب_فئة الكراغلة

تكونت فئة الكراغلة من تزاوج الأتراك بنساء البلاد، وقد ظهرت في بداية الأمر في المدن، وكان الأتراك يعتبرون الكراغلة أدنى منهم مرتبة اجتماعية فأطلقوا عليهم هذا الاسم وقد حاول الكراغلة أن يطالبوا بنفس الامتيازات التي تختص بها الفئة التركية بالتحالف مع الشرائح المحلية، ولم تستجب السلطة التركية لذلك، فقاموا بعدة ثورات. وقد نجح الكراغلة في التقرب من الأتراك ما أدى إلى تأثر العلاقة بين الكرغلي والجزائري، حيث أن هذا الأخير أصبح ينظر إليهم نضرة الأتراك الأسياد([3]).

([1]) أحمد سليماني: تاريخ المدن الجزائرية، دار القصبة، 2007م، الجزائر، ص ص 62، 63.

([2]) ناصر الدين سعيدوني، تاريخ ، المرجع السابق، ص227.

([3]) يمينة درياس: السكة الجزائرية في العهد العثماني. رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، 1988م، الجزائر، ص ص26، 27.

ج_ فئة الحضر

تتشكل هذه الطبقة من المجموعات السكانية القاطنة بالمدن، والتي ترجع أصولها للفترة الإسلامية، بالإضافة للمهاجرين الأندلسيين الذين أصبحوا يشكلون نسبة كبيرة خاصة بعد صدور قرارات للطرد بحقهم، وقد كانت فئة الحضر يتميزون بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة وبوضعهم الاجتماعي المتميز، واشتهرت هذه الفئة بالصناعة والتجارة، ولم يهتموا كثير بالسياسة رغم نفوذهم الاقتصادي، ولقد لعب الأندلسيين دور بارز في الازدهار الاقتصادي والعمراني والنمو البشري([1]).

د–مجموعة البرانية

وهم المجموعات السكانية التي هاجرت إلى المدن للعمل، ولا يقيمون بشكل دائم فيها وقد عرفت المدن نزوحا كبيرا للسكان، وهذه الفئة تتمثل في المزابيون، والبساكرة، والجيجليون، والاغواطيون وغيرهم، واختصت كل فئة بمهام وأعمال تقوم بها تحت إشراف أمين منها يختاره البايليك، وهذا ما جعل البرانية يشكلون عنصر مهما في النشاط الاقتصادي.

1–جماعة بني ميزاب

تنتسب هذه الجماعة إلى وادي ميزاب، وورقلة والقرارة، حيث حظيت هذه الفئة بثقة الحكام العثمانيون بفضل إخلاصهم وولائهم، ووقوفها إلى جانب الأتراك ضد ثوراتهم على الكراغلة، وكانوا يتمتعون بعدة امتيازات خاصة في مجال التجارة، مما مكنها من تكوين ثروات ضخمة([2]).

([1]) وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تع عبد القادر زبادية، دار القصبة، 2006م، الجزائر، ص54.

([2]) محمد الطيب عقاب: قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، 2006م، الجزائر، ص20.

2_جماعة الجيجليين

لقد كانوا يحضون بمكانة خاصة لدى العثمانيين وذلك لأن أفرادهم، من الأوائل الذين رحبوا واستقبلوا العثمانيين، ومنح لهم بعض الامتيازات فكانوا يعملون في المخابز، والمطابخ مما مكن الكثيرين منهم امتلاك المنازل والمخابر.

3_جماعة البسا كرة

ينتمون إلى مناطق الزيبان، ووادي ريغ وسوف وقد كانوا يسهرون على أمن المدينة ونظافتها، وكانوا معظمهم يشتغلون في الميناء، ويتولى شؤونهم أمينا، يعرف بالبسكري سيدنا وكان لهم نفوذ كبير مع الحكام ([1]).

4-جماعة القبائل

حيث ينتسبون إلى منطقة جرجرة، وكانوا يتولون العمل في الدكاكين والأشغال الشاقة كالبناء وحرث الأرض، وكخدم عند الأجانب المقيمين في الجزائر "القناصل".

5_ جماعة الأغواطيين

ينتسبون إلى الأغواط وقبيلتي أولاد نايل، والزناجرة وكانوا يشتغلون، بحمل البضائع والتنظيف ونقل الماء وخدمة المنازل([2]).

6_جماعة الزنوج

وهم العبيد الذين استقدموا من بلاد السودان عن طريق الصحراء، للعمل في المنازل وقد تكاثر عددهم حيث بلغوا مع نهاية القرن الثامن عشرللميلاد ما بين 2000و3500نسمة بمدينة الجزائر، وكان أمينهم يعرف بقائد الوصفان([3]).

([1]) عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر1700 م-1800م، المؤسسة الوطنية للاتصال، 2007م، الرويبة، ص ص30، 31.

([2]) حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص ص170، 171.

([3]) وليام شالر: المصدر السابق، ص 92.

هـ-الجالية اليهودية

تعود أصولهم إلى اليهود([1]) المحليين الذين استقروا بالجزائر، واعتنقوا اليهودية من أهالي البلاد بالإضافة إلى يهود الأندلس، وقد بلغ عددهم مع نهاية القرن الثامن عشر للميلاد حوالي 7000نسمة، واستطاع اليهود الاندماج مع الأهالي وساعدهم في ذلك ثقة الحكام فيهم، مما أدى بالأهالي إلى الانتفاض ضدهم لزيادة نفوذهم في البلاد([2]).

و_ الدخلاء

وهم العناصر الأجنبية عن المجتمع الجزائري مثل التجار الأجانب والعناصر الأوربية، والأسري الذين كانوا هم الأغلبية في هذه الفئة حيث وصلت إلى 10 ألاف أسير وقد كان الأسرى يعيشون حياة حسنة، وكانوا يكلفون بأعمال مختلفة مثل: ورشات بناء السفن ومقاطع الحجارة ومصانع الأسلحة وغيرها، أما القناصل وممثلو الشركات والوكالات التجارية الأجنبية ورجال الدين فكانوا يعشون في معزل عن باقي السكان لا يخضعون للمعاملات المالية والأحكام القضائية المعمولة بها في البلاد([3]).

2-سكان الأرياف

يؤلف سكان الأرياف غالبية سكان المجتمع الجزائري، خاصة إذ كانت تزيد نسبتهم عن 95%من مجموع السكان ويقسمون إلى سكان.

([1]) Diego de haedo: Topographih Histoir gènèrale d'alger,impreimé avalladoliden 1612en1830 ,p41.

([2]) العربي ايشودان: مدينة الجزائر تاريخ عاصمة، تر جناح مسعود، دار القصبة، (ب.ط)، 2007، الجزائر، ص49.

([3]) جون ب .وولف: الجزائر وأوربا 1500 م-1830م، تر وتع أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م، الجزائر، ص 171.

أ–متعاونون" قبائل المخزن"

وهي مجموعات سكانية لها صبغة فلاحيه وعسكرية وإدارية، لمَا تقوم به من أعمال وتؤديه من ادوار، وتعتبر قبائل المخزن حلقة وصل بين الأهالي في الأرياف والحكام في المدن([1])، حيث كانت مهمتها جمع الضرائب، ومعاقبة المتمردين ([2])، بالإضافة إلى تنفيذ أوامر البايليك وتعليماته وتشارك في المحلات الفصلية([3])، والحملات البعيدة المدى. وكانت السهول الوهرانية أهم المناطق التي تركزت فيها قبائل المخزن، باعتبارها تمثل تهديد للأتراك من طرف الإسبان والمغاربة والقبائل المتعاملة "بني عامر".

أما المناطق الأخرى فكان يقتصر في الغالب على أغراض اقتصادية وعسكرية واستراتيجيه مثل مخزن بوحلوان مخزن أولاد الصحاري، ومخزن عمراوة بجوار برج سايا ومخزن أولاد خليف وغيرها، ومقابل للعمل الذي تقوم به قبائل المخزن فإنها تحصل على بعض الامتيازات فهي تتمتع بالأمان والحماية من طرف البايليك والإعفاء من المطالب المخزنية والضرائب([4]).

ب_ قبائل الرعية

هي القبائل الخاضعة مباشرة للبايليك والمقيمة في القرى والمداشير، والدواوير المنتشرة في الجهات التي تراقبها قبائل المخزن، وكانت القبائل تتعرض للاضطهاد والتعسف والقهر من طرف رجال البايليك، حيث يفرض عليهم الضرائب الثقيلة وإرغامهم على بيع محاصيلهم

([1]) ناصر الدين سعيدوني: تاريخ، المرجع السابق، ص ص246–247.

([2]) أرجمنت كوران: السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي، تر عبد الجليل التميمي، مطبوعات كلية الآداب بجامعة اسبول التونسية،1970م،(ب.م)، ص27.

([3]) الأمير بوخدادة: المؤسسات الجزائرية أواخر العهد العثماني(القضاء أنموذجا)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، 2007 م–2008 م، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، ص 36.

([4]) ناصر الدين سعيدوني: تاريخ، المرجع السابق، ص248.

بأسعار زهيدة([1])، وكان لكل قبيلة كبيرة قائد من الأتراك والكراغله وشيوخ من العائلات المتعاملة مع البايات، أما قبائل بايليك الغرب فقط قسمت إلى مجموعات منها مجموعة تخضع مباشرة للباي "وهذا لأن وهران كانت يوجد بها الإسبان بالإضافة للتهديد المغربي"([2]).

إن الضغوطات المتزايدة التي فرضت على القبائل أدى إلى تفكك المجموعات السكانية المتحالفة، وكانت تتعامل مع البايليك عن طريق شيوخها وزعمائها وكانت هذه المجموعات ذات طابع روحي "عائلات المرابطين"، أو الطابع الحربي في شرق البلاد وجنوب التيطري، أو اعتمادها على فرض الزعامة على أصولها العرقية والأشراف.

ولقد عمل البايات الأتراك على الاعتراف بزعامة الشيوخ مثل شيوخ النمامشه والحنانشة، وقصر الطير وأولاد بن قانة، واستعملت العديد من الوسائل لذلك وهي خلق تناحر وصراع بين الأحلاف القبلية وتشجيع النزاعات والصراع العشائري ومن أهم النزاعات التي شجعها الأتراك أحلاف الأعشاش وأولاد مختار، وشن الحملات الانتقامية عند امتناع عن دفع الضريبة([3])، وقد أكد ذلك الورثيلاني في حديثه حيث أنه توجد قبائل متمردة عن السلطة وأخرى موالية لها([4]).

ج_ المجموعات السكانية الممتنعة عن سلطة البايليك

وهذه المجموعات بعيدة عن نفوذ الحكام وعدم اعترافهم بسلطة الأتراك، فان الحكام حالوا أن تحد من استقلالهم وترغمهم مهادنة السلطة الحاكمة، وذلك بتنصيب الحاميات وإقرار عشائر المخزن في المناطق التي تتحكم فيها هذه القبائل مثل جبال البابور وجرجره

([1]) سعاد عقاد: الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية بالجزائر 1519م-1830م(دار السلطان أنموذجا)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، 2013 م-2014 م، جامعة وهران، ص ص38، 39.

([2]) أرزقي شويتام: المجتمع، المرجع السابق ص72.

([3]) ناصر الدين سعيدوني: تاريخ ، المرجع السابق، ص250.

([4]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص 147.

والبيبان وغيرها. بالإضافة إلى ذلك عملت الدولة على التحكم في الأسواق لان في السوق يتم التعارف وعقد الأحلاف، وتبادل الرأي وحتى تتمكن الدولة من التحكم بالأسواق، كانت تعين عليها قياد من الأتراك مما أرغم تلك القبائل على دفع الضرائب، ولم يتفانى الأتراك في استعمال القوة للسيطرة على القبائل، مثل إمارتي كوكو بجرجرة وبني العباس بالقرقور([1]).

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية

إن الوضع الاجتماعي الذي كانت تعيشه الجزائر خلال القرن الثامن عشر للميلاد وضعية متدهورة جدا، حيث يؤكد الورثيلاني في رحلته أن المجتمع الجزائري كان يغلب عليه الأمراض والسرقة، زيادة على ذلك الفقر المدقع ويرجع سبب ذلك إلى الزلازل التي تعرضت لها الجزائر في تلك الفترة، بالإضافة إلى الأمراض والمجاعات التي زادت الوضع سوءا وصعوبة، أدى إلى انتشار اللصوصية وقطاع الطرق مما أدى هذا لتأثير على النمو السكاني ([2]).

تعرضت الجزائر خلال القرن الثامن عشر للميلاد للعديد من الزلازل، مما أدى إلى حالة من الفوضى ولا أمن ومثال ذلك الزلزال الذي ضرب السواحل الجزائرية 1716م([3]) الذى ألحق خرابا كبيرا بالمدن مثل: شرشال والعاصمة وبجاية وقد تجددت الهزات الأرضية مما أدى بالسكان إلى الخروج من الضواحي القريبة من مدينة الجزائر، بعدما قضي الزلزال على مواطنهم وصاحب هذا الزلزال أعمال سرقة ونهب وفوضي مما اضطر الداي لإجراء أعمال توعية، للحد من الفوضى التي صاحبت الزلازل، وقد تكررت الزلازل في مدينة مليانة

([1]) ناصر الدين سعيدوني: ولايات، المرجع السابق، ص131.للمزيد حول السكان وعلاقتهم بالبايلك ينظر إلى الملحق4،ص92.

([2]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص ص 120، 136، 188.

([3]) بن المفتي حسن بن رجب شاوش: تقييدات ابن المفتي تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها، اعتنى به وجمعه فارس كعوان، بيت الحكمة، ط1، 2009م، الجزائر، ص77.

وعنابة والعاصمة 1723م، 1724م، وشرشال1735م، وقد حدث كذلك سنة 1755م، زلزال قوي عرف بزلزال لشبونة الذي تأثر به سكان الجزائر تأثيرا كبيرا([1]).

إن الدمار والفوضى الذي تخلفه الزلازل كبيرا جدا، ما أدى إلى تدهور الأوضاع وما زاد الوضع سوءا هي الأمراض والأوبئة التي تعرضت لها الجزائر بسبب اتصالها بالبحر المتوسط وانفتاحها عن السودان، وعلاقتها بالدول الأوربية وارتباطها بالمشرق العربي، بالإضافة إلى توافد التجار والبحارة([2])، وما ساعد في انتشار هذه الأمراض غياب الرعاية الصحية وعدم توفر الأدوية وقلة الاهتمام من طرف الحكام الأتراك، مثل ما ذكر الورثيلاني الوباء الذي وقع بالجزائر 1739م([3]).

فالجزائر عانت الكثير من الكوارث الطبيعية فلم تسلم من الجراد والجفاف اللذين أديا بدورهما إلى مجاعات وهلاك الكثير من السكان، وهذا الجفاف يؤدي إلى حدوث مجاعات ويعقب هذه المجاعات انتشار الأمراض والأوبئة، فقد أدت مجاعة 1752م، التي دامت أربعة سنوات ذهب ضحيتها 1700 نسمة في مدينة الجزائر وحدها، كما كانت مجاعة 1778م و1779م التي أدت إلى انتشار الأوبئة ([4]).

إن الوضع الذي آلت إليه الجزائر في القرن الثامن عشر للميلاد أدى إلى تناقص السكان خاصة مع نقص الوافدين من الأندلسيين، وتناقص الأسرى إضافة إلى الكوارث والمجاعات التي سبقنا ذكرها، للإشارة فان عدد سكان الجزائر لا يتجاوز أواخر القرن

([1]) ناصر الدين سعيدوني والمهدي بو عبدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني، وزارة الثقافة المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، الجزائر، ص90.

([2]) ناصر الدين سعيدوني: ورقات، المرجع السابق ص 560.

([3]) الورثيلاني: المصدر السابق، ص115.

([4]) عبد القادر حانوتي: الحياة الثقافية والاجتماعية في مدينة الجزائر قبل الاحتلال 1671م-1830م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الوسيط والحديث، 2015 م-2016م، جامعة الشهيد حمة لخضر، ص 70.

الثامن عشر للميلاد الخمسين ألف نسمة([1]).

لقد صور لنا الورثيلاني المجتمع الجزائري من الناحية الاجتماعية صورة سيئة فالمجتمع الجزائري ينقسم إلى طبقات حيث كانت الطبقة التركية من الفئة الرئيسية لأنها كانت تتشكل من الحكام والجنود، والملاحظ أن الورثيلاني لم يتطرق إلى كافة طبقات المجتمع بل ذكر أن المجتمع يتكون من طبقات فقط، بالإضافة فالمجتمع حسب رأيه يعاني الفقر، والفوضى، والمجاعات وانتشار الأوبئة، وما زاد الوضع سوء الزلازل وما تخلفه من دمار وفوضي ونهب فهذا جعل المجتمع الجزائري خال من الأخلاق وتساعد على نشر الفوضى واللصوصية، وأن هذا الأوضاع أدت إلى نقص السكان وتقلصهم،هذا واقع المجتمع الجزائري اجتماعيا أما ثقافيا سنتطرق له في المبحث الثاني.

([1]) العربي ايشودان: المرجع السابق، ص45.

المبحث الثاني: واقع المجتمع الجزائري ثقافيا

إن الوضع الثقافي في الجزائر تميز بالضعف والركود والتخلف، حيث أن الورثيلاني في رحلته يبين أن المجتمع الجزائري، يغلب عليه الجهل والتخلف في معظم الأوساط، بالرغم من أن بعض المناطق تتمتع بثروات هائلة وتوفر الوسائل للنهوض بالتعليم، وتدريسه إلا أن عدم اهتمام المجتمع بهذا الجانب، فالورثيلاني يؤكد على كثرة المساجد إلا أن الطلبة قليلون ونفس الشيء بالنسبة للمدرسيين، وهذا يرجع لعدم اهتمام الحكام الأتراك بالتعليم وتشجيعه واهتمامهم بالأمور الحربية والعسكرية، إلا أن الورثيلاني لا ينكر وجود بعض الحكام الأتراك الذين كانت لهم مبادرة شخصية في تشجيع التعليم وخاصة في النصف الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي([1]).

على الرغم من حالة الركود والضعف الذي آل إليه المجتمع الجزائري، حسب ما نوّه له الورثيلاني، إلا أننا نلاحظ وجود المؤسسات التعليمية التي كانت منتشرة في البلاد فكان التعليم يدرس في المساجد والكتاتيب والمدارس والزوايا وكان بعضها تتميز ببرنامج تعليمي ذا مستوى عال، فكان الطالب يحصل على إجازة، بعد التمكن من معرفة دقيقة بالفقه والأصول والتوحيد والقراءات والصروف والحساب وغيرها.

المطلب الأول: المدارس والمساجد

أ-المدارس:

انتشر التعليم في المساجد والمدارس على اعتبار المساجد كانت تمثل النواة الأولى للتعليم، وكان التعليم في الجزائر منقسم إلى ثلاثة أطوار الطور الابتدائي والثانوي والعالي.

-الطور الابتدائي: حيث يلتحق به الأطفال في سن السادسة يتعلمون خلال هذه المرحلة

([1]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص 121.

القراءة والكتابة، ومبادئ اللغة وحفظ القرءان الكريم وقواعد الحساب ([1])، وقد كانت أدواتهم الأساسية المتمثلة في الألواح الخشبية ، والأقلام من القصب والصلصال* ([2])، وكان يشرف على التدريس المؤدبون والطلبة الأئمة وكان يسمي المدرس سيدي الشيخ، وكان التلاميذ يدفعون للمدرسين من ثلاثة إلى أربعة أرباع بوجو في كل قمر، وكان بعض المدرسيين يتلقون منحة سنوية من الحكومة إلى جانب الهبات والهدايا التي كانت تمنح لهم من أولياء التلاميذ، وكانت الكتاب "جمع كتاتيب" هي أصغر وحدة في التعليم الابتدائي، وكانت هذه الكتاتيب منتشرة في كل القرى مثل مكتب سوق القندقجية، ومسيد القيصرية، ومكتب العمالي، وكانت الكتاتيب تثقف وتربي الأطفال على قواعد الإسلام وعلى نمط اجتماعي معين.

لعبت المدرسة دور مهم في تنشئة الطفل وتربيته، وإن لم تساير العصر والحاجة الاجتماعية فقد كانت تخرج حفظة القرءان ورجال علم وإصلاح ومن أهم المدارس مدرسة الجامع الأعظم ومازونة ومعسكر (المحمدية) وبجاية وسيدي التواتي ([3]).

أما التعليم الثانوي فيكون في المساجد ويتلقى الطالب فيه مبادئ الفقه واللغة والنحو والصرف والميراث والحساب ومن هذه المدارس مدرسة الخنقة ومازونة، ومدرسة قسنطينة.

بالإضافة إلى التعليم العالي الذي كان لا يمنح إلا إلى الطلبة المتفوقين، حيث كان يبدأ التخصص في مختلف العلوم الشرعية، من فقه وحديث وكان هناك ثلاث جامعات في القرن الثامن عشر الميلادي في الجزائر العاصمة([4]).

([1]) صالح بن نبيلي فركوس: المرجع السابق ص518.

*الصلصال: طين يابس يحتوي على مادة لاحمة هي السليكا، للمزيد ينظر: أشرف صالح ومحمد السيد، المراكز الثقافية في دار السلطان أواخر العهد العثماني، مجلة امارابك، العدد 7، مج4، 2013، ص69.

([2]) ليسور ووليد: رحلة ظريفة إلى إيالة الجزائر: تح محمد جيجلي، دار الأمة، 2002، الجزائر، اللوحة 24.

([3]) أرزقي شويتام: المجتمع، المرجع السابق، ص181.

([4]) حلمي عبد القادر: دراسة في جغرافية المدن مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، (ب.د.ن)، ط1، 1972م، (ب.س) ص275.

–دور الدولة في التعليم: لم يكن للدولة سياسة تعليمية ولا برنامج محدد، فكان دورها مقصورا على مبادرات شخصية لبعض الحكام، الذين كانوا يشيدون المدارس بأموالهم الخاصة ويعينون عليها مدرسين، كما أنهم كانوا يشجعون العلماء وبعض رجال الزوايا، الذين كانوا يخدمون سياستهم فيقدمون لهم الدعم المعنوي والمادي، ومن أولئك البايات باي معسكر إبراهيم المليانى 1751م_1756م بحيث يقال عنه محب للعلم وأهله وكان يكثر الجلوس مع العلماء والمذاكرة معهم([1]).

ونجد أيضا الباي محمد بن عثمان من البايات الذين قدموا الكثير لقطاع التعليم بعد أن عرف ركودا، فقد قام بإنشاء المدارس وخصص للمدرسيين رواتب، ولقد اهتم الباي أيضا بتزويد المدارس والمساجد بالمكتبات والكتب وتشجيع العلماء على التأليف.

وفي قسنطينة شجع صالح باي* التعليم حيث الحق بمسجد الكتاني مدرسة عام 1775م ([2]) وعين فيها مدرسين في الفقه واللغة والحديث واستعان ببعض العلماء أمثال الشيخ عبد القادر الراشدي مفتي حنفي وشعبان بن جلول قاضي حنفي والعباسي قاضي مالكي([3]).

لقد كانت المدارس لها دور كبير في التعليم، مما شجع الحكام على تشييد عدد من المدارس، بالإضافة إلى المساجد التي لعبت دورا بارزا في التعليم،على اعتبارها مؤسسة دينية وتعليمية.

([1]) أرزقي شويتام: المجتمع، المرجع السابق، ص337.

*صالح باي: هو صالح بن مصطفى ولد بازميرسنة1725م، التحق بالميليشيات العسكرية، ثم أصبح بايا على قسنطينة1771م، أنجز أعمال ثقافية وعسكرية واجتماعية، كان لها أثر في حياة السكان، وقضى على العديد من التمردات، وقد تغيرت سياسته فعزل 1792 م وعين مكانه إبراهيم باي بوصبيع، للمزيد ينظر محمد الصالح بن العنتري: تاريخ قسنطينة، تع يحي بوعزيز، دار البصائر، ط خ، 2009، الجزائر، ص ص62، 63.

([2]) فاطمة الزهرة قشي: قسنطينة في عهد صالح باي، دار مداد يوتيفار سيبراس، ط3، 2013م، الجزائر، ص196.

([3]) محمد السعيد قاصري: المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان، مجلة عصور الجديدة، العدد18، عدد خاص بقسنطينة، 2015م، ص156.

ب-المساجد:

وكان المسجد يمثل مؤسسة تعليمة مهمة، حيث كان يوجد في كل مدينة جامعا يلتقي فيها السكان للصلاة، وتلقى الدروس من الفقهاء والمفتين ليتعمقوا في الدين ([1])، والمسجد يعتبر روح وجوهر العقيدة الإسلامية فهو من معالم الحضارة الإسلامية([2]) فالجامع ترتكز وظيفته الأساسية في أداة الصلاة وحلقات الدروس اليومية، ووظائف أخرى كنشر التعليم، فالمساجد كانت منتشرة بكثرة فإنها لا تكاد توجد قرية، أو مدينة بدون مسجد([3])، فالورثيلاني يؤكد وجود المساجد كالجامع الكبير في بسكرة، غير أنه وصفه خاليا من الطلبة والمفتون والدارسين رغم وسعة والبناء الجميل، وهنا ينتقد الورثيلاني سكان بسكرة بالجهل والضعف لأن يوجد المساجد ولكن لا يوجد طلبه ومفتون([4]).

ويذكر الورثيلاني بجاية على أن فيها الجامع الأعظم، الذي وجدوا فيه تسعين مفتيا إن بجاية على حسب تعبير الورثيلاني، تعتبر دار علم وبركة، لأنها مزدهرة بالعلم وأن أهلها يهتمون بالعلم حيث أن بجاية وجد فيها 500شابة ([5])، يحفظن المدونة، وأما اللواتي يحفظن ابن الحاجب فلم يعرف عددهم لكثرتهم. فبجاية كاد زينها يضيء من كثرة علم أهلها وقوة أحوالهم وأنوار العلم بها، فهنا يبين الورثيلاني إعجابه ببجاية وأهلها لكثرة علمها، واهتمام أهلها بالعلم([6]).

([1]) بدر الدين بلقاضي ومصطفي بن حموش: تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديفولكس، (ب، د، ن)،2007م، الجزائر، ص38.

([2]) سعاد قوبال: المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دارالمعرفة،2006م،الجزائر،ص16.

([3]) درقاوي منصور: الموروث الثقافي العثماني بالجزائر مابين القرنين (10هـ-13هـ/16م، 19م) بين التأثير والتأثر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، 2014م-2015م، جامعة وهران، ص 124.

([4]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، 117.

([5]) hadj sadouk: A Travere la Berérie Orientale Du XvIIIé Siècle avec le voyageur el wartilani, Revue Africane ,T: Xcv(95) constantine,1951 ,p375.

([6]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص 43.

أما عن عمارة المساجد فالورثيلاني كان معجب بها ولجمالها فيقول: "المدينة كانت قاهرة عظيمة البنيان والجامع الأعظم يدل على ذلك، فإنه لا نظير له وصومعته ما أحسنها وما أوسعها"([1])، وقد أشاد الرحالة الإنكليزي طوسا شوا ببراعة سكان الجزائر في مجال العمارة حيث يؤكد أن السكان يولون اهتماما كبيرا بمساكنهم وأن المساجد من أولى اهتماماتهم ثم يقارنها بالكنائس وبين الفرق بينهما، وكان الناس يقدرون المفتي والإمام، وكل الذين يخدمون المسجد حتى أنهم يقدمون لهم الهدايا([2]).

أما بالنسبة لأهم المساجد في الجزائر، فيوجد الجامع الكبير وهو ومن أقدم المساجد في الجزائر ويسمى كذلك الجامع الأعظم، وتمثلت مهمته في الوظائف الدينية وخدمة المسلمين وتداول عليه أئمة ومفتون([3])، وقد شيد في 1097م ويعد من أقدم المباني الدينية وأكثرها أوقافا، وكان عائلة قدورة أشهر من تولى الإفتاء به، وهو مسجد مالكي. والمسجد الجديد الذي شيد في1660م فوق أبو عنان وكان هذا المسجد تابع للمذهب الحنفي([4]).لقد كانت المساجد تؤدي دورا كبيرا في التعليم، ولما انتشرت الزوايا وتطورت،حيث أصبحت هي الأخرى تلعب دورا مهما في التعليم، خاصة أن أولياءها كانوا لهم سلطة على الأهالي.

-دور الوقف في التعليم

نوّه الورثيلاني في رحلته على دور الوقف في التعليم باعتباره الرافد المغذى لنهره وكيف أن الحكام أصبحوا يتعدوا عن الأوقاف لصالحهم، مما أثر سلبا على التعليم، وهذا

([1]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص115.

([2]) لخضر بوطبة: جوانب من الحياة الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، من خلال الرحالة الإنجليزي طوماس شو: أعمال الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب خلال القرن 12هـ-13هـ/18م-19م، من خلال المصادر المحلية يومي 24-25جانفي 2001م، مطبعة منصور، 2012م، الوادي، ص187.

([3]) مصطفى بن حموش: مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس، دار الأمة، 2007م، (ب.م)، ص49.للمزيد حول المسجد الكبير ينظر الملحق 5،ص93.

([4]) يوسف أمير: إسهام الدايات في وقف المساجد بمدينة الجزائر 1671م-1830م، مجلة الدراسات التاريخية، العدد114، 2012م، الجزائر، ص170.

نعتبره مبالغة من الورثيلاني ([1]) فإننا نجد حكام عملوا على تشجيع الأوقاف، لأهميته ودوره في المجتمع حيث أن، له دور بارز من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، حيث أن للأوقاف دور مهم في تدعيم التعليم في شتى مجالاته، فالوقف يعتبر مصدر نمو المساجد والمدارس ومعيشة العلماء والطلبة ومصدر عيش الزوايا والأضرحة، فانتشرت المساجد نتيجة المبادرات الفردية التي كان يقوم بها الحكام بالإضافة إلى حبس الأوقاف لها من أملاكهم الخاصة، وساهمت الأوقاف في إنشاء الزوايا التي كانت مخصصة لإقامة الطلبة وهذا ما ساعد في انتشار العلم والمعرفة في البلاد، فعملت على تحفيظ القرءان الكريم ونشر التعليم في المناطق النائية.

وكانت الحبوس تتكفل بالمدارس التي عرفت انتشارا واسعا خلال القرن الثامن عشر للميلاد، وبفضل إيرادات الأوقاف تولت المدارس والزوايا الإنفاق على الطلبة وحفاظ القرءان الكريم والإنفاق على خدمتها وإطعام الفقراء المساكين وأبناء السبيل([2]).

إن الأوقاف رغم التعسف الذي كان فيها من طرف بعض الحكام، غير أنها كانت لها دور مهم في المجتمع خاصة من الناحية التعليمية، بحيث ساهمت في زيادة المدارس والمساجد والزوايا، وهذا أدى إلى انتشار العلم وتطوره.

المطلب الثاني: الزوايا والعلماء

أ-الزوايا

اشتهرت الجزائر بالزوايا حيث كانت موجودة فيها وبكثرة، وقد اعتبرت الممثل الأول للثقافة في الريف أما في المدن فكانت وظيفتها التعليم، إضافة إلى أنها مسكن للطلبة الوافدين على العواصم، وكان يكمن دور الزاوية في تحفيظ القرءان الكريم وتدريس الفقهيات

([1]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص 142.

([2]) رشيد شدري معمري: العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر في فترة الدايات 1671 م-1830م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، 2005م-2006م، جامعة الجزائر، ص ص35-69.

والعقائد وقواعد النحو والصرف وقانون البلاغة والحديث ([1])، ولقد ذكر الورثيلاني العديد من الزوايا ومن بينها زاوية سيدي خالد ببسكره، وزاوية سيدي الأخضري، وسيدي علي البكاي وسيدي عقبة وسيدي عبد الرحمن الثعالبي، ويتبين من حديث الورثيلاني أن المجتمع الجزائري متعلق جدا بالزوايا حتى أنه ما إن دخل قرية إلا زار زاويتها، وتبرك بوليها([2]).

لقد كانت الزوايا مركز إشعاع تعليمي بالنسبة للطلبة، وجانب اجتماعي بالنسبة للشيوخ حيث أنهم كانوا يداوون المرضى بطريقة بدائية، ولقد كانت الزاوية في الريف تلعب دورا كبيرا أكثر من المدن حيث أنها تعتبر مخزون للمعلومات والوثائق خاصة أن التدوين موجود في تلك الفترة حيث يذكر الورثيلاني فيقول: " سيدي الحسين جدي كان مدرسا دائما يحفظ الشيخ سالما بنسخ منه كل ليلة نصف كراسة في القالب الكبير أخبرتني بذلك زوجة والد أبى وهو يدرس إلى أن مات وكان يفتى"([3]).

بين الورثيلاني من خلال رحلته أن الزوايا تلعب دورا مهما في حياة الفرد، حيث كان السكان يعظمون الأولياء والصالحين كثيرا، حتى أنهم يذهبون لزيارتهم والتبرك بهم، وكان للأولياء لهم سلطة على الأهالي، وكانوا لا يعصون لهم أمرا.

لقد انتشرت الزوايا في الجزائر في القرن الثامن عشر للميلادي بصفة كبيرة، حتى أصبح المجتمع الجزائري يقدس الأولياء والصالحين، ويصدقونهم كثيرا ولا يجب الخروج عنهم لكي لا يخرج عن ملتهم ويحل عليهم غضبهم، ويجب زيارتهم والتبرك بهم ونجد الورثيلاني كان يقدس كثيرا الأولياء والصالحين، حيث أنه ذكر العديد من الأولياء الذين زارهم وذكر كراماتهم المختلفة، خاصة أنهم يعتقدون أن الشيخ له القدرة على حمايتهم إذا كان راض عليهم أو معهم.

([1]) أبو يعلي الزواوي: تاريخ الزواوة، تع يوراوي إسماعيل، (ب.د.ن)، 2008م، (ب.م)، ص55.

([2]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص ص100، 102.

([3]) نفسه: ص 102.

-ب العلماء

من خلال رحلة الورثيلاني يتضح أن الجزائر بها العديد من العلماء، وما يثبت ذلك هو أنه كلما زار منطقة يذكر علمائها، حيث ذكر علماء بلاد القبائل فذكر الشيخ محمد الشريف من أولاد جلال في مسائل المختصر للشيخ جليل كما اجتمع بالشيخ عبد الباقي والأديب عبد الباري والشيخ المبروك تلميذ الشيخ أحمد بن باباس والشيخ أحمد الزروق بن مصباح والشيخ الفقيه المدرس أحمد بن عمر التدلسي ([1])، ولم يتوقف الورثيلاني عند معاصريه بل تطرق أيضا إلى الذين لم يعاصروه مثل عبد الرحمن الثعالبي والشيخ التواتي والشيخ الزروق وعبد الرحمن الصباغ شارح الوغلسية([2]).

لقد تطرق الورثيلاني إلى دور العلماء في إلقاء الدروس، ومنح الطلبة الإجازات فالإجازة عبارة عن شهادة كفاءة([3])، يستحق بها المجاز لقب الشيخ أو الأستاذ في العلوم المجاز بها، وهناك نوعين من الإجازات خاصة أو عامه، فالخاصة يعطيها الشيخ لطالب درس عنده كتابا معينا أو فنا من الفنون، والإجازة العامة هي التي تكون عامة لكل ما درسه الشيخ من فنون العلم المختلفة، وكانت الإجازات تعطى على شكل شهادة أو وثيقة مكتوبة من طرف الشيخ إلى الطالب، أو عن طريق شفهي يقضي بها الشيخ إلى الطالب الذي استأنس منه والتمكن فيها أخذه من العلوم ([4])، وكانت الإجازة تمنح بعد القراءة على الشيخ المجيز وملازمته أياما وشهورا وأعواما في بعض الأحيان، ومناظرته في بعض المسائل وقد يقرأ الطالب بعض مؤلفاته وكتبه الأخرى وكان للإجازة أصناف كما ذكر أبو القاسم سعد الله أن للإجازة ثلاث أصناف، إجازة الجزائريين للجزائريين، وإجازة الجزائريين لغيرهم، وإجازة

([1]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق: ص17.

([2]) نفسه: ص19.

([3]) سهيل صابان: المرجع السابق، ص26.

([4]) صالح بن نبيلي فركوس: المرجع السابق، ص268.

العلماء المسلمون للعلماء الجزائريين ([1])، ونجد أن الورثيلاني تحدث عن الإجازات التي منحت له من قبل العلماء سواء كانوا بالجزائر أو خارجها، وكان هو أيضا يمنح للطلبة الذين لازموه الإجازات، حيث أن الورثيلاني أجيز من الجزائريين أمثال أحمد زروق البوني، وبما أنه كان يتنقل عبر الأمصار فأجيز من طرف العديد من العلماء في مصر كخليل المغربي والملوي وعلي الصعيدي والبليدي والشيخ الفيومي وعبد الوهاب العفيفي حيث أنه يذكر أنهم أجازوه في سائر العلوم، حيث يؤكد أن الإجازة لم تكن خاصة بعلم الحديث وحده بل وأحينا كانت تتناول الفقه والتوحيد والتصوف وكلها في الواقع علوم شرعية([2])، ويقول:سعد الله عن الورثيلاني لو جمعت إجازات الورثيلاني ربما كانت في كتاب لكثرتها وكانت معظم إجازات الورثيلاني عن طريق الملازمة والقراءة، إن كثرة إجازات الورثيلاني تدل على أنه عالم من علماء القرن الثامن عشر للميلاد.

كان الورثيلاني يذكر في رحلته الكثير من الأسَر التي اشتهرت بالعلم والعلماء منهم أسرة أولاد الشيخ سيدي ناجي بالخنقة، حيث ينتمي إليها الشيخ محمد الطيب وأحمد بن ناصر، والشيخ عبد الحفيظ والشيخ سيدي بركات والشيخ السعيد، وأسرة العنابي المشتهرة بالعلم والولاية ([3]).

إن ما يلاحظ على الورثيلاني أنه ينتقد كثيرا المجتمع الجزائري، ويصفه بالجاهل والضعيف، ولكنة عندما يزور منطقة من مناطق الجزائر يذكر العديد من العلماء والمفتون ونلاحظ أيضا أنه عندما يذكر العلماء لا يذكر مؤلفاتهم إلا نادرا، وذكره للعلماء هذا يدل على وجود العلم، ولكن هذا العلم كان يتمثل في تحفيظ القرءان، وبعض الفقه وأصول الدين وإن المساجد في الجزائر لم ترقى إلى المساجد التي كانت في الدول الأخرى كجامع الأزهر

([1]) أبو القاسم سعد الله: تاريخ، المرجع السابق، ص ص40، 41.

([2]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق ص ص340-343.

([3]) مختار بن الطاهر فيلالي: المرجع السابق ص ص 166، 167.

بمصر وجامع الزيتونة بتونس، اللذان كانا الطلبة ينتقلون إليهما لتلقي بعض العلوم هناك خاصة أنها ممر لقوافل الحج.

المطلب الثالث: رحلة الحج

لقد وضح الورثيلاني من خلال رحلته كيفية تنظيم قوافل الحج، والطريق التي تسلكها نحو الحجاز، والدور الثقافي والاقتصادي الذي يلعبه ركب الحج، حيث كان الوسيلة الأساسية للوصول إلى البقاع المقدسة لأداء مناسك الحج، وتحقيق أهداف أخرى، فمن طريق الحج يمكن للحاج أن يحقق أغراض وغايات دينية ودنيوية فهي رحلة للحج ولطلب العلم والمال معا مما يؤكد قول الحجاج الحج "حج وحاجة"([1]).

فكان طريق الحج على حد قول الورثيلاني ينطلق من زمورة* إلى وادي بوسلام متجهين نحو الجنوب، حيث يتم تجمع أغلب حجاج القطر الجزائري، لتوجهوا من هناك نحو بسكرة للسير عن الطريق القافلي الكبير، هذا بالنسبة إلى الطريق البري للحجاج ويوجد من يفضل طريق البحر.

وبالنسبة إلى الكيفية التي يتم فيها تشكيل الركب فإننا نلاحظ أن أمير الركب يحصل على الموافقة من السلطة المركزية وبعد الحصول عليها([2])، يشرع في نشر خبر الحج فيبدأ المعلنون الرسميون يجوبون مختلف القرى والمدن لتبليغ الناس بالأمر وترغيبهم بالحج بوسائل مختلفة، كإخبارهم بأن أغلب العلماء والأولياء والحكام قرروا الحج هذا العام، كما أكد الورثيلاني ذلك، أنه لما سمع الناس بحج العلماء والفضلاء فبدأ الناس يرغبون بشد الرحال إلى بيت الله الحرام، وقد ذهب الجميع بنسائهم وأولادهم، وهنا يؤكد أن الناس لهم رغبة في

([1]) مختار بن الطاهر فيلالي: المرجع السابق، ص81.

*حاليا تابعة لولاية بومرداس.

([2]) مختار بن الطاهر فيلالي: المرجع السابق، ص84. .

الحج مع العلماء والفضلاء فهم ينتفعون من علمهم وأن الطريق يكون آمنا أكثر([1]).

وبعد انتشار خبر الحج يبدأ الناس في الاستعداد للسفر الطويل زمانا ومسافة، وعند استكمال استعداداتهم يتوجهوا نحو محطات التجمع بقصد السفر، إن ما يميز ركب الحج أنه ليس مقتصر على فئة معينة، وإنما جميع الفئات تشارك فيه الفقير والغني والقاضي والعالم والطالب ورؤساء القبائل، كلهم تشترك فيهم صفة الإيمان القوي العميق والعقيدة الراسخة رغم المخاطر التي يواجهها ركب الحج من نهب وقطاع الطرق، وتعب وسرقة فإنهم عازمون للسفر لأداء فريضة الحج([2]).

فركب الحج قديما يمثل شركة في الوقت الحالي فله نظامه الخاص، ويوجد أميرا أوشيخا قائدا له، مسئول عن الركب فيأخذ من كل حاج ثمن معين، ويوجد في الركب مرشد طريق الحج، والمنادي الذي يعلن قرارات أمير الركب، والحاملون للرايات المعلنون عن الإعلان عن المبيت وغيرها من الأمور، بالإضافة إلى قاضي يحكم بينهم([3]).

لقد نوّه الورثيلاني في رحلته إلى آداب الحج، وأن على الشخص الذي يريد الحج عليه أن يعامل كافة أعضاء الركب بالتساوي، حيث يعتبر المسن أباه والند أخا والصغير ابنا وأن يعلم الجاهل بشعائر الحج، وانه يجب على الحاج أن يكون صبورا، ليكون حجه مبرورا وجزاء موفور.

وكان السفر يدوم طويلا أي عام للذهاب وعام للعودة، وأن الحجاج أثناء الطريق يعانون الكثير من المشاكل، ولكن المشكل الأصعب بالنسبة إليهم هو مشكل عدم توفر الماء على اعتبار أن الركب الجزائري يمشى في النهار عكس الركب المصري([4]).

([1]) الحسين الورثيلاني: المصدر السابق، ص17 .

([2]) عبد الرحمن عزي: المرجع السابق، ص28.

([3]) مختار بن الطاهر فيلالي: المرجع السابق، ص81.

([4]) مختار بن الطاهر فيلالي: المرجع السابق، ص89.

وكانت تحصل في بعض الأحيان مشادات وصراعات بين الركب، فتسود الفوضى ويتصارعون بالحجارة والعصي، وقد كان يتدخل العلماء لفض النزاعات وكانت هذه النزاعات تعرض الركب إلى اللصوص والسطو عليهم، وذكر الورثيلاني المخاطر التي يتعرض إليها الركب الجزائري من طرف العرب الحجاز والمصريين([1]).

ويعتبر ركب الحج وسيلة أساسية لطلب العلم والازدياد من المعرفة، وللاحتكاك بالعلماء المسلمين الوافدين فيحدث تبادل ثقافي وعلمي فيما بينهم([2])، واقتناء الكتب عن طريق الشراء أو الاستعارة أو النسخ وبالإضافة إلى الاتصال بمراكز العلم المختلفة، وتحدث الورثيلاني أنه كان يلقي الدروس ويعطي الإجازات ويقدم له هو أيضا في كل محطة يحط الرحال بها، وهنا يتبين أن رحلة الحج تعتبر من عوامل نشر العلم([3]).

([1]) عبد الرحمن عزي: المرجع السابق، ص ص55، 56.

([2]) أرزقي شويتام: العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية الفترة العثمانية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 13، 2011م، الجزائر، ص82.

([3]) مختار بن الطاهر فيلالي: المرجع السابق، ص96.

خلاصة الفصل

لقد صور لنا الورثيلاني المجتمع الجزائري على أنه مجتمع طبقي، حيث أنه ينقسم إلى فئات التركية والكراغلة والبرانية والحضر وغيرهم، ويذكر أن المجتمع الجزائري يعاني الفقر والفوضى، وأنه تعرض إلى العديد من الزلازل والمجاعات والأمراض والأوبئة، وهذا ما زاد الأمر سوءا، وأصبح المجتمع بلا أخلاق، حيث يؤكد أنه مجتمع يتصف بالجهل والظلم وقلة العلم وانتشار الأمية بالرغم من وجود المساجد والزوايا

لكن الورثيلاني يؤكد أن وطنه يوجد فيه العلم بالإضافة إلى أنه يبدي إعجابه ببجاية وأهلها لكثرة علمها، ونلاحظ على الورثيلاني أنه عندما يزور منطقة يذكر زواياها وعلمائها وأوليائها الذين، كان يؤمن بهم كثيرا بحيث ذكر عبد الرحمن الأخضري وسيدي عقبة وخالد، والعديد من الزوايا والعلماء، وينوه على رحلة الحج وما لها من أهمية في طلب العلم وتبادل المعارف.

الخاتمة

من خلال دراستنا للجزء الأول من رحلة الورثيلاني توصلنا للنتائج التالية:

- تعتبر رحلة الحسين الورثيلاني "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" من المصادر الأساسية التي لا يمكن لأي باحث في تاريخ الجزائر العثمانية الاستغناء عليها لتعرف على أوضاع البلاد الجزائرية في القرن الثامن عشر للميلاد، ولقد وصف لنا الورثيلاني حالة المجتمع الجزائري من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ووصف لنا كذلك حالة المسالك والعمران، بالإضافة إلى طريق الحج ومحطات القوافل في تلك الفترة، وقد احتوت الرحلة على العديد من تراجم العلماء والأولياء.
- إن البيئة التي نشأ فيها الورثيلاني أثرت فيه وهذا ما جعله محبا للعلم وشغوفا به.
- نلاحظ من الجانب السياسي أن الورثيلاني ينتقد بشدة الحكام الأتراك وحكمهم الذي اتصف بظلمهم للسكان مما أدى بالعديد من الثورات والتمردات على السياسة التي يتبعها الحكام
- إن الجانب الاقتصادي في الجزائر تميز بتنوع ثرواته الزراعية، مما جعله يحقق الاكتفاء الذاتي لحاجيات الجزائريين خاصة أن الجزائر تميزت بالعديد من الصناعات التقليدية، وهذا ما جعلها تتميز بتجارة داخلية نشيطة، بالإضافة إلى التبادل الخارجي.
- أما من الناحية الاجتماعية فكان المجتمع الجزائري يتشكل من طبقات تميزه عن بعضه البعض بحيث أن الطبقة التركية كانت هي السيدة لأنها تتكون من الحكام، وقد كانت الأرياف هي الأخرى مقسمة إلى قبائل المخزن وهي المتعاملة مع السلطة التركية وتعتبر الواسطة بين الرعية والحاكم وهذا ما جعلها تكون كالدركي.

تميز الوضع الاجتماعي في الجزائر من خلال الرحلة الورثيلانية بالتدهور والضعف وهذا يرجع حسب رأي الورثيلاني إلى سياسة الحكام التعسفية ضد السكان خاصة إرهاقهم بالضرائب والإتاوات وما ينتج عنها من تمردات وثورات، بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية التي شهد تها الجزائر خلال القرن الثامن عشرللميلاد، من زلازل وجفاف وقحط أدى إلى انتشار الأوبئة والأمراض خاصة مع نقص الرعاية الصحية مما أدى إلى نقص السكان وتقلصهم.

- أما الوضع الثقافي بالجزائر تميز بالركود،حيث يفهم من وصف الورثيلاني من خلال المناطق التي زارها أن البعض منها يسودها الجهل والظلم والتعسف والفساد وقلة العلماء وهو لا ينكر وجود المساجد والمدارس ولكنها حسب قوله فارغة من الطلبة والمدرسيين وهذا يعني تفشي الجهل في الفترة العثمانية ولكن لا ينطبق على كافة المناطق فمثلا منطقة بجاية مشهورة بعلمها وكثرة علمائها.

لقد كان يوجد في الجزائر حواضر علمية تميزت بعلمها مثل الجزائر بجاية وقسنطينة وتلمسان وغيرها، بحيث كانت بها مساجد ومدارس للتعليم، كالمدرسة الكتانية والجامع الأعظم واشتهرت بعلمائها الذين كان لهم دور كبير في انتشار العلم.

يمكن إرجاع تدهور الحياة الثقافية في الجزائر إلى عدم اهتمام بعض الدايات، بالتعليم والعلم، واهتمامهم بالأمور العسكرية والسياسية، بالإضافة إلى أن الأوضاع التي تعيشها الجزائر لم تكن تسمح بالقيام بنهضة علمية، ولكن يوجد حكام أولوا اهتمام واسع بالتعليم خاصة في أواخر القرن الثامن للميلاد، حيث أنشئوا المدارس والمساجد وشجعوا التعليم وتلقينه، مثل باي قسنطينة صاح باي الذي اشتهر بسياسته العادلة واللينة وتشجيعه للعلم.

كانت الزوايا في الجزائر منتشرة، حيث أن الحكام شجعوا على ذلك لمصلحتهم الخاصة بغرض مساعدتهم في التحكم في البلاد، خاصة إذا علمنا أن المرابطين والأولياء كان لهم سلطة على الأهالي، وكان الأهالي يحترمونهم كثيرا ويقدرونهم ويتجلى ذلك في الزيارات والتبرك بهم والحرص الشديد على إرضائهم لأن في اعتقادهم أن الولي أو الشيخ له سلطة روحية .

يمكننا أن نستنبط معلومات جد هامة من الرحلة الورثيلانية حول رحلة الحج ، فهي تصف وبشكل دقيق الطريق الذي سلكه هؤلاء الحجاج إلى جانب المناطق والمدن والقرى التي كانوا يعبيرونها أو تكون محطات لرحلتهم بالإضافة إلى الصعوبات التي كان يواجهها الحجاج أثناء

سفرهم، كشفت الرحلة عن الفرق الشاسع بين رحلة الحج في تلك الفترة ورحلة الحج الآن التي أصبحت ميسورة بكثير من تلك الفترة.

كانت رحلة الحج عبارة عن وسيلة وهدف فهي لتحقيق أداء الفريضة وهو الحج، بالإضافة إلى تلقى العلم والاحتكاك بالعلماء وهذا ما يجعل رحلة الحج عبارة عن تبادل ثقافي ومعرفي وتجاري هام جدا، وهذا استناد لقولة تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴾.سورة الحج 28-29.

الملاحق

الملحق رقم 1:بداية المخطوط([1])

([1]) مخطوط الرحلة الورثيلانية كاتبها نشي المولود ونسخها عبد العجيم بن عبد الوهاب الزيد عبد الله:ص1

الملحق رقم 2:نهاية المخطوط([1])

([1]) مخطوط الرحلة الورثيلانية كاتبها نشي المولود ونسخها عبد العجيم بن عبد الوهاب الزيد عبد الله :ص398.

الملحق رقم 3 :خريطة تبين النشاط الصناعي للجزائر في العهد العثماني ([1])

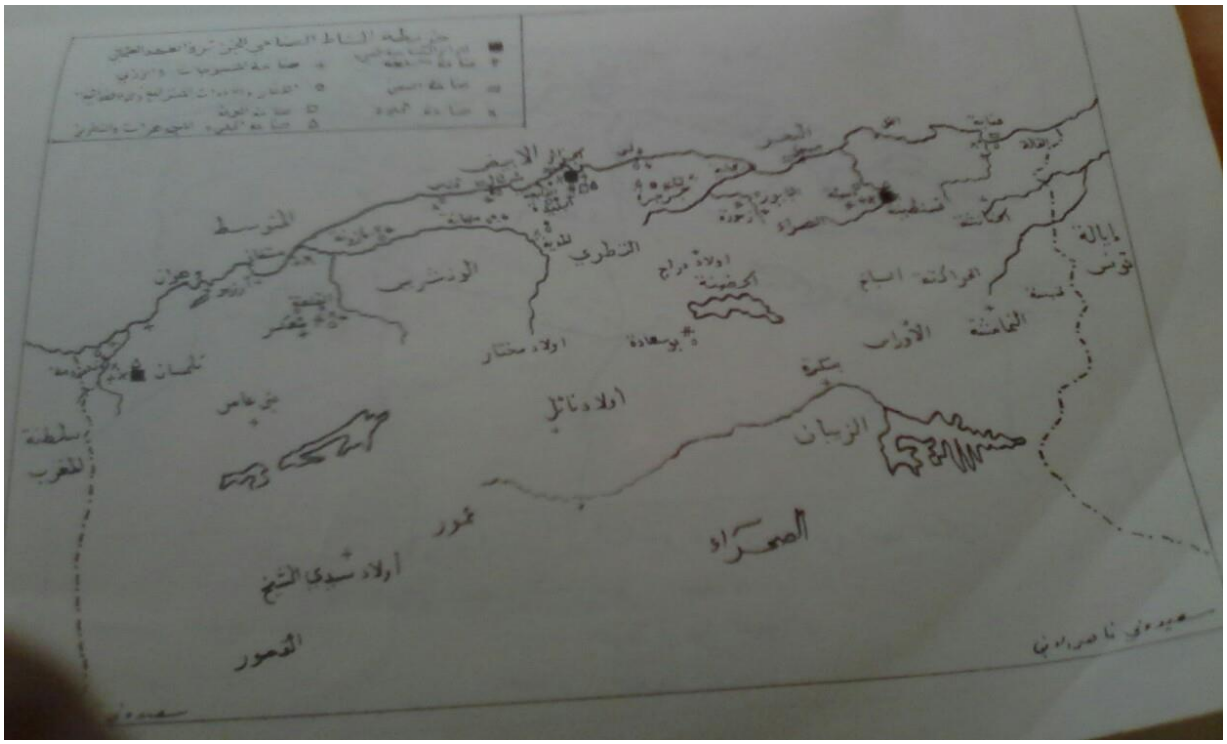

([1]) ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي :المرجع السابق ص237.

الملحق رقم 4:خريطة تبين سكان الأرياف وعلاقتهم بالبابليك ([1])

([1]) ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي :المرجع السابق ص241.

الملحق رقم5: المسجد الكبير بالعاصمة الجزائر([1])

([1]) صالح بن نبيلي فركوس :المرجع السابق ص636.

قائمة المصادر والمراجع

القرءان الكريم

المصادر

مخطوط الرحلة الورثيلانية كاتبها شني المولود وناسخها عبد العجيم بن عبد الوهاب الزيد عبد الله

المصادر العربية:

1.ايشودان العربي: مدينة الجزائر تاريخ وعاصمة، تر جناح مسعود، دار القصبة، 2007م، الجزائر.

2.البغدادي إسماعيل باشا: هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مج2، 1995م، إستانبول.

3.الجزائري محمد بن ميمون: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلد الجزائر المحمية، تع محمد بن عبد الكريم، الشبكة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1981م، الجزائر.

4.الحفناوي محمد أبو القاسم: تعريف الخلف برجال السلف، القسم الأول، مؤسسة الرسالة، ط1، 1998م، تونس.

5._____:تعريف الخلف برجال السلف، القسم الثاني، مؤسسة الرسالة، ط2، 1985، تونس.

6.خوجة حمدان بن عثمان: المرآة، تق محمد العربي الزبيري، منشوراتANEK، (ب.س)، تونس.

7.الذهبي شمس الدين بن محمد: سير أعلام النبلاء، ج9، تح كامل الخياط، مؤسسة الرسالة، 1982م، بيروت .

8.الزركلي خير الدين: الأعلام قاموس وتراجم، ج2، دار العلم للملايين، ط15،2002 م، لبنان.

9.الزهار أحمد الشريف: مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب، إشراف الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، 1980م، الجزائر.

10. سيركين يوسف إلياس: معجم المطبوعات العربية والمعرفة، ج2، مكتبة دار الثقافة، 1999م، القاهرة.

11. العنتري محمد الصالح: تاريخ قسنطينة، تع يحي بوعزيز، دار البصائر، ط خ، 2009م، الجزائر.

12. بن المفتي حسن رجب شاوش: تقيدات ابن المفتي باشاوات الجزائر وعلمائها، إعتنى به فارس كعوان، بيت الحكمة، ط1، 2009م، الجزائر.

13. الورتلاني الحسين: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مج1، مكتبة دار الثقافة الدينية، ط1، 2008م، القاهرة.

المصادر الأجنبية المعربة:

14. أوهابسبترايت ج: رحلة العالم الألماني إلى إيالة الجزائر وتونس وطرابلس 1145 هـ – 1732م، تر ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي،(ب. س)، تونس.

15. سبنسر وليام: الجزائر في عهد رياس البحر، تع عبد القادر زبادية، دار القصبة، 2006م، الجزائر.

16. شالر وليام: مذكرات وليام شارل قنصل أمريكا في الجزائر 1816 م–1824م، تع إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م، الجزائر.

17. وويليد ليسور: رحلة ضريفة إلى إيالة الجزائر، تح محمد جيجلي، دار الأمة ،2002م، الجزائر.

المراجع العربية والمعربة:

المراجع العربية:

18. أنساعد سميرة: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدي، 2009م، الجزائر.

19. أرزقي محمد: إضاءات في تاريخ الجزائر معالم وأعلام، دار الأمة، 2014م،الجزائر.

20. بلقاضي بدرالدين وحموش مصطفى: تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديفولكس، (ب. د. ن)، 2007م، الجزائر.

21. بورايو عبد الحفيظ: مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، دار مداد يونيقاريست، ط2، 2013م، الجزائر.

22. بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007م، الجزائر.

23. الحسيني عبد المنعم القاسمي: أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الثانية، دار الجليل القاسمي، ط1، (ب. س)، الجزائر.

24. حلاق حسان: مدن وشعوب إسلامية، دار الراتب الجامعية،(ب. س)، بيروت.

25. حلمي عبد القادر: دراسة في جغرافية المدن مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، (ب. د. ن)، ط1، 1970م، (ب. م).

26. بن حموش مصطفي: مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس، دار الأمة، 2007م، (ب. م).

27. دويب عبد الرحمن: الأعمال الكاملة للشيخ بوعبدلي، دار المعرفة الدولية، ط خ، 2013م، الجزائر.

28. الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر، (ب. س)، الجزائر.

29. الزواوي أبو يعلى: تاريخ الزواوة، تع يوراوي إسماعيل، (ب. د. ن)، 2008م، (ب. م)

30. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي 1500م-1800م، ج2، دار الغرب الإسلامي ط1، 1998م، بيروت.

31. _____: محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للتوزيع، ط3، 1983م، الجزائر.

32. سعيدوني ناصر الدين: تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، ط2، 2006م، الجزائر.

33. _____: من التراث التاريخي الجغرافي للغرب الإسلامي تراجم ومؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار البصائر، (ب. س)، الجزائر.

34. _____: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي ،ط1،2000م،بيروت.

35. _____: ولايات المغرب العثمانية الجزائر تونس طرابلس، دار البصائر، ط2، (ب. س)، الجزائر.

36. سعيدوني ناصر الدين والمهدي بوعبدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني، وزارة الثقافة الوطنية للكتاب،1984م،الجزائر.

37. شارف رقية: الكتابات التاريخية الحديثة خلال القرن 18م وبداية القرن19م، دار الملكة ط1، 2007م، الجزائر.

38. شرقي عاشور: معلمة الجزائر القاموس الموسوعي، مر مصطفى ماضي، (ب.س)، (ب. م).

39. شويتام أرزقي: المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني1519م-1830م، دار الكتاب، ط1، 2009م، الجزائر.

40. صابان سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مر عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد،2000م، الرباط.

41. عباد صالح: الجزائر خلال العهد التركي1514م-1830م، دار هومة، ط2، 2007م، الجزائر.

42. عبد القادر صحراوي: الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني 1520م-1830م، دار هومة، 2016م، الجزائر.

43. عبد القادر نور الدين: صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة،2006م، الجزائر.

44. عبد الرحمن عزي: التواصل القيمي في الرحلة الورثيلانية بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخيار، تأليف سيدي الحسن بن محمد الورثيلاني، دراسة تم إعدادها لمؤتمر جامعة فيلادلفيا، الأردن "حول ثقافة التواصل"، مؤسسة كنوز الحكمة،2011م، الجزائر.

45. عقاب محمد الطيب: قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، دار الحكمة، 2006، الجزائر.

46. غطاس عائشة: الحرف والحرفيون 1700م-1800م، المؤسسة الوطنية للاتصال،2007م، الجزائر.

47. فركوس صالح بن نبيلي: تاريخ الثقافة الجزائرية من العهد الفينيقي إلى غاية الاستقلال (814ق.م-1962م)، ج1، داريكوم ،(ب. س)الجزائر.

48. فيلالي مختار الطاهر: رحلة الورثيلاني عرض ودراسة، دار الشهاب،(ب. س)، الجزائر.

49. قشي فاطمة الزهرة: قسنطينة في عهد صالح باي، دار مداد يوتيفارسبواس، ط2، 2013م.الجزائر.

50. قوبال سعاد: المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة،2007م، الجزائر.

51. كحالة عمر رضا: معجم المؤلفين تراجم المصنفين الكتب العربية، مؤسسة الرسالة،(ب. س)، (ب. م).

52. مجموعة الأساتذة: موسوعة العلماء والأدباء الجزائرين، ج2، إشراف رابح خدوسي، منشورات الحضارة، ط1، 2014م، (ب.م).

53. المدني أحمد توفيق: محمد عثمان باشا داي الجزائر1766م-1791م، المؤسسة الوطنية للكتاب،1986م،الجزائر.

54. مريوش أحمد: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، ط خ، 2007م، الجزائر.

55. الميلي مبارك بن محمد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج3، مكتبة النهضة، 1964م، الجزائر.

56. نويهض عادل: معجم الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحديث، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، 1980م، لبنان.

57. هلايلي حنيفي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، ط1، 2008م، الجزائر.

58. هلايلي عمار: العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية في ما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين، (3-14هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2010م، (ب.م).

المراجع المعربة

59. أرجمنت كوران: السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي، تر عبد الجليل التميمي، مطبوعات كلية الآداب بجامعة اسيول التونسية، 1970م، (ب.م).

60. إيسودان العربي: مدينة الجزائر تاريخ وعاصمة، تر جناح مسعود، دار القبصة، 2007 م، الجزائر.

61. وولف جون ب: الجزائر وأوربا 1500م-1830م، تر ابو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب،1986م، الجزائر.

المراجع باللغة الفرنسية:

62.T.shaw:voyage dans la Regence D'algrer ou Deseripion ,trceduit del'anglais J.Mac Carktht,Rue desavour,N°11,1830,Paris.

63.Diego de haedo: Topographih Histoir gènèrale d'alger,impreimé avalladoliden 1612en1830 .

الرسائل الجامعية:

64. بدة زكري نعيمة: التيارت الصوفية بالمغرب الأوسط خلال القرن 7هـ-13م، مذكرة لنيل شهادة الماستر، 2015-2016، جامعة الوادي .

65. بعرايسة صباح: حركة التصوف في الجزائر خلال القرن 7هـ-13م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، 2005-2006، جامعة الجزائر.

66. بوغدادة الأمير: المؤسسات الجزائرية أواخر العهد العثماني (القضاء أنموذجا) مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر، 2007-2008، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة.

67. حانوتى عبد القادر: الحياة الثقافية في مدينة الجزائر قبل الاحتلال 1671م-1830م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الوسيط والحديث، 2015م -2016م، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي.

68. حراش مايسة: ثقافة بلاد المغرب من خلال كل من رحلة الورثيلاني وابن حمادوش، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، (ب.س)، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة.

69. درقاوي منصور: الموروث الثقافي العثماني بالجزائر ما بين القرنين 10هـ -13هـ و16م-19م بين التأثير والتأثر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير 2014م-2015م، جامعة وهران.

70. رحمون دليلة: السياسة الزراعية الفرنسية في الجزائر وأثرها على المجتمع الجزائري 1830م-1900م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، 2012م-2013م، جامعة محمد خيضر بسكرة.

71. بن سعيدان محمد: علاقات الجزائر مع فرنسا 1070هـ-1170هـ/1659م-1756م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير،2011م-2012م، غرداية .

72. العايب كوثر: العلاقات الجزائرية التونسية خلال عهد الدايات 1711م-1830م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، 2013م-2014م، جامعة الوادي.

73. عقاد سعاد: الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر 1519م-1830م(دار السلطان أنموذجا)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر 2013م-2014م، جامعة وهران .

74. عوادي محمد: أبو راس الناصري إنتاجه الفكري وجهاده ضد الإسبان 1737م-1823م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، 2015م-2016م، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي .

75. بن مصباح فاطمة: إدارة الأقاف في الجزائر أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، 2015م، جامعة محمد خيضر بسكرة.

76. معمري رشيد شدري: العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر في فترة الدايات 1671 م-1830م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ،2005م-2006م، جامعة الجزائر.

77. مهتاري المولودة زرقة فائزة: أضرحة الأولياء في الغرب الجزائري دراسة تاريخية ومعمارية من خلال بعض النماذج، أطروحة دكتوراه 2005م-2006م، جامعة ابن بكر بلقايد تلمسان.

المجلات

المجلات باللغة العربية

78. شويتام أرزقي: العلاقات الثقافية المغاربية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 13، 2011م، الجزائر.

79. غويني ليلى: التواصل الثقافي للرحالة الجزائر يبن مع العلماء المغاربة في العصر الحديث، مجلة الدراسات التاريخية، العدد14، 2012 م، (ب. م)

80. صالح شرف محمد السيد: المراكز الثقافية في دار السلطان في أواخر العهد العثماني، مجلة الثقافة أمارباك، العدد7، مج4، 2013م، (ب.م).

81. قاصري محمد السعيد: المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارح النسيان، مجلة عصور جديدة، العدد 18عددخاص قسنطينة 2015، (ب.م).

82. يوسف أمير: إسهامات الدايات في وقف المساجد بمدينة االجزائر 1671م، 1830م، مجلة الدراسات التاريخية، العدد114، 2012م، الجزائر.

المجلة باللغة الفرنسية:

83.hadj sadouk: A Travere la Berérie Orientale Du XvIIIé Siècle avec le voyageur el wartilani, Revue African,T:Xcv(95)constantine,1951.

الملتقيات

84. بوطبة لخضر: جوانب من الحياة الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، من خلال الرحالة الإنجليزي طوماس شو: أعمال الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب خلال القرن 12هـ-13هـ/18م-19م، من خلال المصادر المحلية يومي 24-25جانفي 2001، مطبعة منصور 2012، الوادي.

85. سلسلة المشاريع الوطنية للبحث: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، ط، خ، (ب، س)، (ب، م).

فهرس الموضوعات

الإهداء

شكر وعرفان

قائمة المختصرات

مقدمة..... أ-هـ

الفصل الأول

حياة الحسين الورثيلاني

المبحث الأول: مولده ونشأته.....6

المطلب الأول: مولده 6

المطلب الثاني: نشأته.....6

المبحث الثاني: شيوخه وثقافته.....8

المطلب الأول: شيوخه.....8

المطلب الثاني: ثقافته 9

المبحث الثالث: عصره ورحلاته.....11

المطلب الأول :عصره 11

المطلب الثاني :رحلاته 13

المبحث الرابع: وفاته وآثاره.....17

المطلب الأول: وفاته 17

المطلب الثاني:آثاره.....17

الفصل الثاني

دراسة المؤلّف

المبحث الأول: الدراسة الظاهرية.....21

المطلب الأول: دراسة المخطوط.....21

المطلب الثاني: دراسة محتوي المخطوط ظاهريا.....24

المبحث الثاني: الدراسة الباطنية.....27

المطلب الأول: النقد الإيجابي.....27

المطلب الأول: النقد الإيجابي.....27

المطلب الثاني: النقد السلبي.....35

الفصل الثالث

واقع المجتمع الجزائري سياسيا واقتصاديا من خلال الرحلة الورثيلانية

المبحث الأول: الواقع السياسي.....41

المطلب الأول: نظام الحكم والتنظيم الإداري.....41

المطلب الثاني: النظام القضائي.....48

المبحث الثاني: الواقع الاقتصادي.....52

المطلب الأول: الزراعة.....52

المطلب الثاني: الصناعة.....55

المطلب الثالث: التجارة.....58

الفصل الرابع

واقع المجتمع الجزائري اجتماعيا وثقافيا من خلال الرحلة الورثيلانية

المبحث الأول: واقع المجتمع الجزائري اجتماعيا.....63

المطلب الأول: التركيبة الاجتماعية.....63

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية.....70

المبحث الثاني: واقع المجتمع الجزائري ثقافيا.....73

المطلب الأول: المدارس والمساجد.....73

المطلب الثاني: الزوايا والعلماء.....78

المطلب الثالث: رحلة الحج.....82

الخاتمة.....86

الملاحق.....89

قائمة المصادر والمراجع.....94

فهرس الموضوعات..... 103